بسم الله الرحمن الرحيم

للقطب سيدي الشيخ/

أحمد الطيب بن البشير

شرح العارف بالله سيدي الشيخ/

عبد المحمود بن نور الدائم

نفعنا الله بعلومهم وأمدنا بمددهم لمرامي وآمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلي الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم الحمد لله الذي نور قلوب أحبابه بمعرفته واصطفاهم وشرح صدورهم لحكمته واجتباهم والزمهم كلمة التقوى وكانت مشبهاهم وإخرجهم من حولهم وقوتهم إلي حوله وقوته وفى ذلك غاية مناهم ولم يعتمدوا على أعمالهم بل على فضل الله تعالي وصار هذا مسارهم وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدونه وهذا دأبهم في صباحهم ومساهم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس الذي خلق الخلق وبراهم وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي ختم الرسالة والنبوة وجميع خصائل الخيرات بل هو أفضل خلق الله وأعلاهم **أما بعد**:-

فان أفضل القربات وأولي ما ماتمسك به السادات الزلة والإنكسار والمراقبة لله تعالي في الليل والنهار والسير إلي الله تعالي على يد الأشياخ العارفين بالعلم والعمل ودقائق الأسرار وكان عدو الله تعالي ولزات الدنيا التي هي مشوبة بالاكرار أوجب أهل الله تعالي جهاده في العلانية والأسرار ومخالفة النفس عن إتباع الهوي وساير ما يعده الشرع مذموماً لمخالفته للواحد القهار وسألني بعض الأصدقاء أن أصنع شرحاً على الحكم الطيبية التي ألفها سيد العارفين وقطب الأولياء أجمعين سيدي وأبو أروحي الشيخ أحمد الطيب ابن البشير طيب الله ثراه وجعل في دار الآخرة إلي وجه الله الكريم روياه، وكان رضي الله عنه يجتمع برسول الله ρ يقظة ومشافهة وكان إذ أتي في الحضرة النبوية يبتلعه رسول الله ρ في جوفه من شدة حبه له وكان يقول: إن إبراهيم ابن رسول الله ρ وكان يسقي المريدين باللحظات، وفي أقرب من لمحة يوصله في الحضرات وكراماته كثيرة وفضائله شهيرة نفعنا الله ببركاته، وأمدنا من إمداداته بجاه سيدنا محمد رسول الله ρ أحييه إلي ذلك مستعيناً بالله في هذه المسالك وسميته الأسرار القدسية على الحكم الطيبية. جعلنا الله من المحبين لذاته تعالي بجاه سيدنا محمد ρ وآله وزوجاته قال الشيخ رضي الله عنه: بعد البسملة الحمد الذي قسم في معرفته على أرواح الأنام والصلاة والسلام على نبيه الذي نشأ منه الوجود ابتداء واختتام.

معنا الحمد في اللغة: هو الثنا بالكلام على المحمود بجميل صفائه شرعاً سوا كان من باب الإحسان أو من باب الكمال المختص بالمحمود كعلمه وشجاعته على قصد التعظيم.
وفي الاصطلاح: فعل ينبوا بتعظيم المنعم لكونه منعماً على الحامد وغيره وقوله الذي في قسم في ازله معرفته على أرواح الأنام فيه إشارة إلي أنه يتكلم في علم المعرفة وهو العلم بالله تعالي وبصفاته المسمي بعلم المكاشفة وعلم الباطن والصلاة والسلام على نبيه آتي بهما امتثالاً لقوله تعالي (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ولقوله ρ من صلي: علىّ في أول كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وروي عبد الرزاق بسنده إلي جابر رضي الله عنه قال: لما سألته عن أول شيء خلقه الله تعالي قال: نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش وقسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث الملائكة ثم قسم الرابع، أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة، ثم قسم القسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم ومن الثالث نور انسهم ومن الرابع نور التوحيد وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا معنا قول الشيخ الذي نشأ منه الوجود ابتداء واختتام فالأشياء كلها مخلوقه من نوره ولأجله ρ وفي ذلك قيل لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم، فهذه نبذة لطيفة روحانية من الحكم الإلهية الجارية على لسان بعض عبيده بتأثير القدرة الإلهية بالله أقول أنه عالم معلم من غير منقول ومعقول الإشارة عايد إلي الحكم الآتية ونبذة كغرفة أي منبوذة أي يعني مأخوذة وقوله لطيفة أي لا كثيفة إذ اللطافة نور والكثافة ظلمة قال الشيخ الطيب في شرح حكمه، وروحانيته أي منسوبة إلي اصطلاح الروح أو أنها من علم الروح لا من علم الجسم كم تشقي لخدمته أتعبت نفسك مما فيه خسراناً أذهب إلي الروح فاستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنساناً. وعلم الروح المشار إليه هو معرفة ما يضرها وينفعها فتضرها المعاصي والمخالفات وتنفعها الطاعات لأنها هي التي تغرب وتنعم وتتألم وتعاقب وفي ذلك قيل يا مولعاً بالعلم الجسماني وجاهلاً بالعلم الروحاني هل لاخدمت الروح يا مغرورة هيهات قد حجب عنك النور ونورانية أي أنها نوراي العمل بما فيها ينور القلب لأنها من الحكم الإلهية

الجارية على لسان بعض عبيده ـ المراد به الشيخ أحمد الطيب ابن البشير جسماً وابن السماني روحاً ـ وهي كاينة بتأثير القدرة الأزلية ولله دره في هذا الكلام وما أحسنه من إمام فان الشيخ رضي الله عنه بشير إلي خروجه من حوله وقوته إلي تأثير القدرة الأزلية وهي إشارات العارفين وشرب الواصلين وأقصي بغية السائرين فان الخروج عن الحول والقوة هو جنة أهل الله أجمعين بالله أقول أي أنه لا يتكلم إلا بالله. وقال أبو سعيد الخراز: للعارفين خزائن أودعوها علوماً غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية فقوله بلسان الأبدية وعبارة الأزلية إشارة إلي أنهم بالله ينطقون وهذا معنى قول الشيخ بالله أقول وهو من العلم المجهول، وقال تعالي على لسان نبيه ρ بي ينطق وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالي فيه، في حق الخضر(**آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**). فالشيخ رضي الله عنه من الذين آتاهم الله العلم والعمل، على تمام الإخلاص وقد علمه من لدنه، وحكمه هذه من العلوم اللدنية لاشك في ذلك أنه عالم من غير منقول ومعقول وقدرة الله صالحه في كل ممكن وقال تعالي (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**). ثم شرع في المقصود فقال: أول المقامات في طرق أهل الله التوبة لله، والتزام طاعة الله بخوف الله، والصبر على مراد الله، والزهد فيما سوي الله. إذا أردت أيها المريد الدخول في طرق أهل الله فاعلم أن أول المقامات التوبة لله، وهى التوبة الشرعية عن جميع المحرمات وهى واجبة بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب قوله تعالي(**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)، وقال تعالي (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**)، وقال تعالي (**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**). والسنة قوله ρ: يا أيها الذين آمنوا توبوا إلي الله فإني أتوب إليه في اليوم مائه مرة، رواه مسلم، وتوبته ρ تشريفاً لأمته لا عن ذنب، والإجماع على ذلك وتكون توبة المريد بشروط التوبة وهي الندم على ما فات والنية ألا يعود و الإقلاع في الحال إن كان متلبساً بمعصية ولذلك كان الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، إذا أتاه المريد للسلوك أمره بالتوبة أولاً وهى على أقسام توبة المؤمنين من الحرام والآثام، وتوبة الخاشعين وهى عدم ترك الطاعة ولزوم أدب الشرع مع الخوف والصبر والضراعة، وتوبة الصابرين وهى على مراد الله، وتوبة الخواص من الأغيار وملازمة شهود

حضرت الواحد القهار وهى التي أشار إليها الشيخ بقوله والزهد فيما سوى الله. وبعد التوبة يكون التزام طاعة الله وفى ذلك صفاء القلب ونوره وبعد نور القلب انكشاف الأشياء المغيبة وذلك يكون بفتح البصيرة وهو المسمى بعلم الباطن وبعد هذا لا الانكشاف للقلب يكون الصبر على مراد الله في أي شي أراده الله تعالي وقد مدح الله تعالي أهل الصبر بقوله (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)، ولذلك قال الشيخ والصبر على مراد الله والزهد فيما سوي الله وهذه درجة الواصلين إليه والمغربين لديه. أيها المريد الجاهل بإقبالك حط بالك لنظر الله إليك في صلواتك وجملة أذكارك من أهل حضرته في غدوك وآصالك، هذا خطاب من الشيخ للمريدين يرشدهم إلي مقام الحضور فان من تم له الحضور لم يزل في فرح وسرور وندفع بذلك عنه كافة الشرور، ولأنك أيها المريد إذا أحضرت بالكمع الله تعالي صرت من أهل حضرته وبقيت في مجاورته وحزبه فلذلك قال الشيخ رضي الله عنه: أيها المريد الجاهل بإقبالك علي الله تعالي حط بالحاء المهملة والطاء المهملة المشالة أي فرغ بالك لنظر الله إليك في صلواتك وجملة أذكارك وكيف لا تفعل ذلك وهو تراه يقول وهو معكم أينما كنتم معيته I لازمة لكل شي وإذا كان مولاك معك فكيف لا تقبل عليه كل الإقبال وتهمل الذي سواه كل الإهمال فإنك إذا فعلت ذلك تكن من أهل حضرته ولذلك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ في حكمه غيب نظر الخلق إليك ينظر إليك وغب عن إقبالهم عليك شهود إقباله عليك وقد قال تعالي (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ)، فعليك أيها المريد بدوام الحضور في الأذكار والصلوات تكن من أهل السعادات وأستعن علي ذلك بكثرة ذكر الله كما أشار إلي ذلك رضي الله عنه حيث قال علي لا يخرج منك الوهم وشهود الخيال إلا بكثرة ذكر الله بالصدق والابتهال قلب به عنه الوهم خلاف اليقين والخيال الباطن أي لا تدخل جنة اليقين ولا ينزع من قلبك الخيال إلا بكثرة ذكر الله والذكر يكون بالصدق والابتهال فالصدق صفاء فيه القلب من الغيار والابتهال التضرع إلي الله تعالي بدوام الزلة والانكسار فانك إذا كثرة من ذكر الله تعالي مع الصدق والابتهال لخرج عنك شهود الوهم والخيال، وفي ذلك قيل الأكل شي ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل. فالأغيار كلها خيال أي باطل كما قال بعضهم ولازم ذكر الله بكل حال وفر من طوارق الخيال فالدنيا

خيال إن نظرت إليها بعين البيرة كما نظر إليها الفحول من الرجال وهي فانية غير باقية فإتباعك لها واجتهادك فيها خسران منك، قال الله تعالي((يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)). وقال علىّ رضي الله عنه يا رسول الله دلني علي أقرب الطرق إلي الله تعالي وأسهلها قال يا علىّ الإكثار من ذكر الله سراً وجهراً. وقال الاخضري في كتابه الذي وضعه في التصوف وأعلم بأن طرق التطهير كثيرة عند ذوي التنوير أقربها نفعاً طرائق الذكر بسرعة يزيل كل ستر لكلن بشرط الخوف والخضوع مع أذكار هيبة المذكور فالطرق الموصلة إلي الله تعالي كثيرة لكن اختاروا أهل الله تعالي الذكر ولذلك قيل الذكر منشار الولاية فمن أعطيته فقد أعطى المشار وأفضل الأذكار كلمة لا اله إلا الله، كما قال ρ أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله.

وفي شرح النووي إذا كان آخر الزمان فأفضل الأعمال لا إله إلا الله لأن صدقاتهم يشوبها الحرام وأعمالهم يخالطها الرياء وهي لا رياء فيها، وأكثر الذاكرين بها أقرب وصول إلي الله تعالي من غيرهم كما هو مشهد لأهل التجربة فعليك أيها المريد ملازمتها ليلاً ونهاراً وتكراراً بالتوكيد فإنك تكون بذلك من أهل التوحيد، كما أشار إلي ذلك رضي الله عنه حيث قال التوحيد ظاهرة التنزيه عما لا يليق بالذات للقدسية العلية وباطن نفي الحول والقوة منك عنك بالكلية أشار رضي الله عنه إلي أن التوحيد له ظاهر وباطن وإنما يتنبه لهذا من شرب من ماء غير اسن وصار وملازماً لحضرة الشهد وهو لها فاطن فإن ظاهرة التنزيه عما لا يليق بالذات المقدسة العلية كالشريك والحدوث والعدم والفخر وسائر النقائض وباطن نفي الحول والقوة منك عنك بالكلية، فانخلع عن حولك وقوتك ولق نفسك في باب الرضا وأنزل التدبير وأطرح الاختبار، فإن هذا أرفع لشرفك وعلاك فعليك أيها المريد بباطن التوحيد ولا تغتر بظاهره فإن ليس من شأن أهل التجريد فإن من خرج من حوله وقوته لا يكون له اختيار ولا تدبير غير اختيار مولاه، وفي هذا غاية شرفه وعلاه. قال في لطائف المنن قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ولا يصل الولي إلي الله تعالي ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته. انتهي فهذه علامات الخروج عن الحول والقوة بالتحقيق فعليك بملازمتها فانه يزول عنك كل تعويق وإن اغتررت بظاهر التوحيد لم تكن من الموحدين بل عند أهل القلوب من المشركين ولا يصير لك الدخول في حضرة رب العالمين، كما قال رضي الله عنه من المحال أن يفتح لك باب شهود حضرته وأنت لم تطهر قلبك من جنابة

شركه جعل الشيخ الربوبية منوطه بعدم الشرك لان من شهد الله تعالي كيف يبقي في قلبه شرك لسواه ومن كان كذلك فما أشرفه وأعلاه. قال الأخضري فهل يطأ مساجد الإنابة هي حضرت الشهود، وحديث الجنابة هو الشرك وهو عند الواصلين مفقود، فإن أردت أيها المريد الدخول في حضرة الواحد القهار فعليك بملازمة الأعمال وعدم الاعتماد عليها وبذلك وصل الرجال، كما أشار إلي ذلك الشيخ حيث قال: لا تعتمد على عمل ليس فيه تأثير ولا تفعل فعلاً حتى تشهد فيه الواحد القدير، الاعتماد على العمل من عوائق الطريق، فان المريد الصادق من تحلي بالأعمال ولم يعتمد عليها إذ العبد في الحقيقة ليس له إيجاد عمل، كما قال تعالي: ((والله خلقكم وما تعملون)) فإذا نظر إلي عمله وأعتمد عليه كان ذلك من عين الزلل، فلذلك قال الشيخ رضي الله عنه: لا تعتمد على عمل ليس لك فيه تأثير، ولا تغفل فعلاً حتى تشهد فيه الواحد القدير، هذا التأكيد من الشيخ رضي الله عنه للمريدين ليجرهم بذلك إلي شهود وحدة الأفعال فكان لك أيها المريد أحرص على أن لا تفعل فعلاً حتى تشهد فعل الله فيه قبل فعلك فإنك لازمت هذه الحالة وداومت عليها كنت من الواصلين لحضرة وحدة أفعاله، ولا تبال بعد ذلك قل عملك أو كثر، لأنك لا تشهد لك عمل مع شهود وحدة الأفعال، وصرت هذا من فحول الرجال، كما قال رضي الله عنه إذا ارصد الحق وتوحدت فعله في فؤادك فلا ننال معها وإن قل عملك يعنى إنك إذا دخلت وحدت الأفعال تحققت ملازمتك لشهودها أبداً فقد صرت من الأخيار المتقين والعلماء العاملين فلا تبال بعد ذلك وان قل عملك لأنك من أهل شهود المنة.

وقال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: قليل العمل مع شهود المنة خير من الكثير مع شهود التقصير، لأنه مع شهود المنة لا ينبغي للمريدين شهود أحد سواه ومن تحقق بهذا الشهود فقد تحقق بالعمل وأعرض عن كل شي سواه. ولذلك قال الغزالي: ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملا الأرض عبادة من المغتربين، وقال لي الله عليه وسلم:حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم. وقال سيد أهل المعاملات: وجعلت قرة عيني في الصلاة ولم يقل بالصلاة إشارة إلي زهده فيما سواه وأنه لا يعتمد في صلاته على عمله بل على واسع فضله وكرمه فاقهم، أيها المريد هذه الإشارة بقلب حاضر وأنت في شهود أفعاله وأحذر من اعتمادك على أعمالك وأحوالك بك مثبتاً لتأثير قدرتك إلي ذلك، الشيخ حيث قال: لا تعتمد على عملك بك مثبتاً لتأثير قدرتك لك إن أردت أن تخرج عنه، أرح نفسك من اعتمادك على عملك عليه، أي تعتمد على عملك بك، أي بنفسك مشاهداً لأنك عملته وفعلته فقد أثبت لنفسك

قدرة وصرت مشركاً شركاً خفياً لا تشعر به بل سبيلك أن تكون مشاهداً أن الله تعالي هو الذي فعله وعمله فيك، ولذلك قال الشيخ رضي الله عبه: إن أردت أن تخرج عند أي عن شهود عملك، أرح نفسك من اعتمادك على عملك عليه، أي لا تعتمد عليه بل وعلى فضل الله تعالي، وقد تقدم في الحكمة السابقة الإشارة إلي ذلك بقوله: لا تعتمد على عمل ليس لك فيه تأثير والاعتماد على العمل من الذنوب التي لا يعرفها إلا الخواص وشهود العمل من العوائق التي لا يتنبه لها غلا من دخل بحر الحقيقة وغاص، ولذلك قيل ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة، إذا أعددت تفنيك عن كل ذلة، وهذا معني قول سيدي ـابن عطاء الله ـ في حكمه أنت إلي حلمه إذا أطعته أحوج منك إلي حكمة إذا عصيته، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: من مات ولم يتقلقل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر، ولقد صدق رضي الله عنه في هذه المقالة لأن العامل وإن كان عالماً لا يتنبه لمثل هذه الدقائق ولله درالمص في هذه العبارة وما أخفاها من إشارة، قال تعالي((ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء)).
وقال رسول الله ρ: ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا حتى أنت يا رسول الله قال حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته))، فإذا كان مثله ρρρ لا يدخل الجنة بعمله مع كمال تزكيته في سائر طاعته فكيف بأمثالنا المتلطخين بالشرك والغفلات وكذا سائر ادناس المخالفات، فعليك أيها الأخ بشهود أفعاله في جميع الأحوال فإذا لم تشاهد ذلك فقد صرت مشركاً شركاً خفياً لا يعلمه إلا الخواص من الرجال، ولذلك قال من علامة شركك به اعتمادك على عملك بك فأن خرجت عنه بكليته جال قلبك في جبروته أي من الدليل على شركك بالله تعالي عند أهل البصيرة والواصلين اعتمادك على عملك بك أي بنفسك، أي اعتمادك على عملك وشهودك إياة وأنت في هذه الحالة من بساط الحضرة من المطرودين ومع أفعال رب العالمين، ولذلك وكان رسول الله ρ يستغفر بعد جميع صلواته ثلاثة مرات إشارة وإيماء للاحتياط والخلاص من هذه الخطرات، فعليك أيها المريد الصادق بالخروج عن عملك بكليته فإن خرجت عنه بكليته جال قلبك في جبروته، فإن الإنسان إذا فني عن جميع أعماله وأحواله أنكشف له شي من البصيرة ودخل يتفكر في قلبه ببصيرته التي ظهرت له ويترقي بذلك إلي أعلي مقام، فأن علم الجبروت يكون ويحصل بالخروج عن العمل إلي سر القلب بعد إشراق نور الله تعالي فيه وبعد صفائه له وتجليه ومن لم يدخل في عالم القلوب لا يفهمه ولا يحل بناديه ومن دخل في علم الجبروت ولا تعتريه الأحزان لانفتاح قلبه له وشهود الأمور كلها بالعيان من الرحمان فإن سبب الهموم والأحزان الاحتجاب عن روية

الملك الديان لان القلوب لو شاهدت وعاينت أن الأمور كلها بيد مولاها وأن أرحم بها من أبيها وأمها ومن أخيها وابن عمها لا تعتريها الأحزان ولا الكدرات ولا تفرحها الخيرات ولا يسؤها الشر وأنواع البليّات، وهذا الأمر لا يعرفه ويفهمه من وصل إلي هذا المقام، ولهذا قال: رسول الله ρ لذلك الرجل الذي قال له هموم وغموم لزمتني يا رسول الله فقال ρ، قل الله ربي لا أشرك به شيئاً، فدله بكلامه هذا أن داؤه من الأغيار والاحتجاب عن روية الملك الجبار، وأن داؤه مقام التوحيد، وشهود أن الله تعالي هو النافع والضار ومن هنا كان سيدي وأبو أروحي الشيخ أحمد الطيب لا يفرحه الخير ولا يسوؤه الشر، كما هو معلوم لمن شاهده ورآه ولا تحصل لك هذه الراحة إلا إذا تجلي على قلبك بجوهرة من جواهر التوحيد، ولذلك قال: إذا رايته فاعلاً متصرفاً في كل ما يريد فقد من عليك بأول جوهرة من جواهر التوحيد يعني أنك إذا كشف لك الحجاب وصرت من الأحباب رايته فاعلاً متصرفاً في كل ما يريد وسلمت له الأمر وذهبت عن قلبك منازعته بترك اختيارك وتدبيرك وإرادتك ووفقت لسعادتك فإن شان العبد إلا يكون له اختيار ولا مراد مع سيده وأعطاك هذه المشاهدة على الدوام فقد أفناك عن أفعالك في أفعاله ومن عليك بأول جوهرة من جواهر التوحيد فسلم الأمر لمولاك وأرض بما قسمه لك وأعطاك فان الخير في مراده تعالي لا في مرادك، وصاحب هذا التجلي أعلني تحلى وحدة الأفعال لا تكون له كدورة ولا ظلمة تغشاه لأنه لا يشهد في الكون إلا المحاسن ومن كان هذا مشربه فقد شرب من ماء غير آسن شعـــــــر:

إذا مـا رأيت الله في الكل فـاعلاً   رأيـت جميع الكـائنـات ملاحـا

فأفهم أيها الأخ هذا الكلام وافن في شهود مولاك الملك الحق المبين وأفهم السلوك فانه من مقام المقربين السلوك على توحيد الحال طريق المقربين لا الأبرار فمن سلك على يد خبير عارف بالله كان من أهل حضرت الله معني كلامه رضي الله أن من وحد الله تعالي في كل حال وصار له هذا الأمر أبدا بلا أشكال وكان لا يراعي بقلبه إلا أفعال الله تعالي لغنائه عن أفعال المخلوقات، ولا يشهد بقلبه إلا صفات مولاه، لغنائه عن صفات المخلوقات، فهو من المقربين لا من الأبرار لان الأبرار في مقام السير لم يصلوا إلي حد القربة المذكورة وهم مع أنفسهم وبشريتهم ولم يغنوا عنها إلي إعلان ثم قال فمن سلك على يد خبير

عارف بالله فإنه في ذاته لشهوده ذات مولاه وفي صفاته لشهوده صفات مولاه وفي أفعاله لشهوده أفعال مولاه وهذا هو معني قول الشيخ عارف بالله كان من أهل حضرت الله أي أنه يتم له مقصوده ويصل إلي حضرت معبوده بخلاف من سلك على غير عارف فانه لا يصل إلي المرام لأن الشيخ إذا لم يكن عارف فهو أعمي وهذا ضلال في ضلال عمى في عمى، فعليك أيها الأخ بالسلوك على يد الأشياخ العارفين ودع الأشياخ الجاهلين الهداية فضله والضلالة عدله، فماذا تقول يا جهول؟ سلم الأمر إليه في أحكامه تشرب من رحيق أعلامه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، شرع الشيخ رضي الله عنه يدلك، أيها المريد إلي مقام التسليم ويحركه إليه بالدليل والبرهان ويوضح لك الأمر بالعيان فان التسليم مقام الواصلين ولا يحظى بفائق عطره إلا عباد الله المتقين، ومن سلم الأمر لمولاه الكريم أدخله في جنة النعيم وفي جنة القرب ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فقال رضي الله عنه الهداية فضله، أي رحمته كما قال تعالي يختص برحمته من يشاء وقال تعالي((ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)) والضلالة عدله، قال تعالي((من يضلل الله فلا هادى له))، فماذا تقول يا جهول؟ أي فما قولك يا جاهل بالأمر هذا فضلاً منه وهذا عدلاً منه، وأي دخول لك في أفعاله فينبغي لك إن كنت عاقلاً أن تكون كما أمرك بقوله سلم الأمر إليه في أحكام تشرب من رحيق أعلامه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، أي فليتسابق المتسابقون والمنافسة في الخير محمودة فلذلك أمر الله تعالي بها ولا يتم لك هذا التسليم إلا بعد أن يخرجك من شركك بتجليه على قلبك لوحدة أفعاله فعند ذلك يتم لك ويسقيك كأساً من وصاله كما قال إذا أخرجك من شركك له في وحدة الأفعال أدخلك بحر التسليم، وأسقاك كأس من الوصال، الدخول في التسليم لا يكون إلا بعد أن يخرج الله تعالي الإنسان من الشرك ويدخله وحدة الأفعال بالشهود والوصال ومن تحقق بذلك فقد بلغ ما وصل إليه الفحول من الرجال بدخوله في حضرت وحدة الأفعال وشهود الأمور كلها من حضرت الكبير المتعالي، فاجتهد أيها الأخ في خدمة مولاك بدوام طاعته ولزوم ذكره بأدب الشريعة وتخلق بأخلاق حبيبه لعلك تكن من أهل الحقيقة ولا تجعل همك بالدنيا ولا بالأولاد فإنهما فتنة وحجاب عند أرباب السلوك والأحباب إذا أردت أن تحظى بطيب وصوله أرح نفسك من شهود فعل غيره فتكون مخلصاً به لا بك له شرع الشيخ رضي الله عنه يبين لك أيها المريد كيفية الوصول حتى يجرك إلي باب مولاك بألطف عبارة ويوصلك إلي حضرته بأرق إشارة، فإن المريد الصادق من كانت همته منصرفة إلي مولاه، ولم يلتفت في سلوكه لشي سواه، فقال رضي الله عنه: ان أردت أن تحظي بطيب وصوله أرح نفسك من

شهود فعل غيره، لأن من شهد الأفعال من الخلائق لم يزل في تعب ومشقة، وكان قلبه محجوباً عن الخالق، ومن سار على براق الصدق وجاهد نفسه في كشف الحجاب الذي على قلبه شاهد الأمور كلها من الله تعالي، وانكشف له الحجاب الذي على عن قلبه، وصارت الأفعال كلها لله تعالي وبقيت نفسه راضية بما يجرى عليه من المقادير، وعلى الغير وصار مخلصاً لله تعالي، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: شعر شهودك الفعل من الفعال في كل شي وحدة الأفعال متى تحققت به صغى إذا تنجى بها من شركك الحقيقي ومن رياء ثم داء العجب، ومن رياء ثم داء العجب ومن شهود حاجب وحجب وتكون مخلصاً به له لا بك له، أي بالله تعالي بمحض فضله لا بك له، أي لا يكون إخلاصك بك أي بنفسك ومن وصل إلي هذا المقام فقد نال فوق ما يتمناه وحاز من الخير أقصاه، فإذا وقفت أيها الأخ لشيء من هذه المراتب آن لك أن تظهر فيك إشارات السكر فلا تتزلزل ولكن أثبت كما ثبت من قبلك من الرجال، كما أرشد إلي ذلك الشيخ بقوله توحيد الأفعال لا يثبتون في سكره الأكمل الرجال إذا حصل لك فيه الفناء عن الأنام، كن رجلاً جامعاً لِشرع من ظلله الغمام، يعني أن من تجلي الله عليه بوحدة الأفعال فإنه يدخله السكر وكثير من يموت فيها ولا يغرق بين الحلال والحرام لوقوفه مع فعل الله وفي هذه الحالة تكون له التسوية بين الحلال والحرام ومنهم من يقتل الناس ولا يشعر بتحريم قتل النفس ومنهم من يشرب الخمر ولا يشعر بحرمتها ومنهم من ينكح البهائم ومنهم من يقبل النساء ويفعل معهنّ الحرام ومنهم من يأخذ أموال الناس ولا يكترث لحرمتها إلي غير ذلك من أمور مخالفة للشرع فينبغي للإنسان ألا ينكر على أهل الله تعالي إن كان من العقلاء، وأما من انطمست بصيرته وانحطت مرتبته عن هذا المشرب فيُنكِر هذه الأفعال لا من حيث القيام بأمور الشرع ولكن للتعصب والجهل والتعنت على عباد الله، ولكن من المعلوم بالضرورة أن حرمة الشرع تأتى هذه الأمور المنكرات، ولا يقاس ما يأتوا به الصوفية بميزان الشريعة المحمدية، ومن ثم قال أبو أمدين الغوث شعر:

عندي رموز كنوز ليس يدركها ... من عمه العشق لا من على قرا
شربةُ كأس الحُــب فـسـكـرتْ ... ولو شَربوه ما لاموا لمن سكرا

فلذلك قال الشيخ رضي الله عنه لا يثبتون في سكره الأكمل الرجال، ثم قال إذا حصل لك فيه الفناء عن الأنام، أي المخلوقات كن رجلاً جامعاً تابعاً لشرع

من ظلله الغمام إشارة إلي حالة الغرق، قال السهروردي قال المزيز الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية بعضها متصلة بالبعض وقد غلط قوم وادعوا أنهم في عين الجمع وأشاروا إلي صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا، وإنما الجمع الحكم الروح حكم الرمح والتفرقة حكم الجسد وما دام التركيب باقياً فلا بد من الجمع والتفرقة، قال ابن عباد في شرح الحكم
ـ لابن عطاء الله ـ الجمع بمنزلة البحر والتفرقة بمنزلة السفينة، فمن دخل البحر بغير سفينة غرق، ومن دخل السفينة بغير بحر وقف وهلك، ومن جمع بينهما سار ووصل إلي معدن الجواهر ويلتقط بأنامله ما شاء من الكبائر والصغار، فعليك أيها المريد بالتخلق بالجمع والفرق كما أمرك الشيخ بقوله كن رجلاً جامعاً تابعاً الشرع، من ظلله الغمام ρ على مر الليالي والأيام، فإنك إذا جمعت بين المقامين وتمكنت في الحالتين فقد كنت عارف بالله لشهودك الله كأنك تراه، ولذلك قال: المعرفة بالله من الله أن تشهد الله كأنك تراه، شرع الشيخ رضي الله عنه يبين لك أيها المريد مقام الإحسان ويجرك إليه ويكون دخولك فيه بعبادة الملك الديان ومقام الإحسان هو الذي قال فيه سيد ولد عدنان أن تعبد الله كأنك تراه وفي الحديث الذي رواه الصحيحين أن رجلاً جاء إلي رسول الله ρ فقال أخبرني عن الإيمان ـ الحديث ـ إلي أن قال أخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فعليك أيها الأخ بمقام العارفين، وزاحمهم في حسن مقاصدهم تفز بجنة المقربين لا تأخذ عطاء بيد يد العباد حتي تشهد يد الله في المنع والإمداد الأدب، في الأخذ من الخلائق أن تشهد أن الله هو المعطى والمانع فإذا شهدت العطاء منه والمنع فقد تحققت بأدب الأخذ من الخلائق، فحينئذ ان منعت شهدت المنع منه I عين العطاء لأنه منعه ليس عن بخل ولا عن عجز، ولا عن قلة حاشاه عن ذلك، ولكن لحكم وأسرار تليق بك أيها الممنوع لو فهمت، ومع ذلك فلا تغفل عن شكر الواسطة في العطاء واعزازه في المنع تكن متحققاً بمقام الغرق والجمع، فأفهم أيها الأخ هذه الأسرار عند الأخذ من الخلائق تظفر عند ذلك بالرقائق، قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ لا تمدن يدك للأخذ من الخلائق إلا أن تري أن المعطى فيهم مولاك، فإذا كنت كذلك فخذ ما وافق العلم فأفهم أيها الأخ هذا الكلام بقلب حاضر وأعمل بمقتضاه، ولا يكون هم ولا اشتغال إلا طاعة مولاك كل شيء بيد الله والخير والشر مرسلان من الله، ومن لم يتحقق بشهود ذلك كان مبعوداً مطروداً من حضرت الله، انظر أيها الأخ إلي هذه الحكمة بقلب حاضر وأعمل بمقتضاها واحذر من الغفلة عن حضرت الشهود فإن كل شيء بيد الله، كما قال تعالي ((قل إن الأمر كله بيد الله

)) وهذا البحر العذب هو الذي اغترف منه الشيخ حكمته ولفظ منه جوهرته وهكذا، حكم الشيخ كلها مأخوذة من بحر كتاب الله وسنة رسول الله ρ يفهم ذلك من علة همته ثم قال والخير والشر مرسلان من الله وبهذه الكيفية نظروا أهل البصيرة إلي الخير والشر ورواهما سواء فلم يشهدوا إلا الخير فقط ولم يروا شراً قط، كما قيل إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً رأيت جميع الكائنات ملاحاً فأشهد أيها الأخ هذه المعاني بعين البصيرة كما شهدها أرباب الشهود وأستقم في طاعة مولاك ولا تفرح عبد نزول الخير وتحزن عند نزول الشر فتكون مطروداً من حضرت الله، كما قال ومن لم يتحقق بشهود ذلك الخ.....، ولذلك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ في حكمه متي كنت إذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفولتك وعدم صدقك في عبوديتك، فعليك أيها الأخ بلازمة العبودية فإنك إذا لازمت هذا المعني صرت من المغربين الأخيار وينبغي عنك الخوف من كل شيء ولا تشهد إلا الواحد القهار من خاف من حيوان ولم يشهد الله فيه فقد أثبت له التأثير وصار مشركاً شركاً خفياً بوحدة العلى الكبير هذا هو الحق الصادق للقلوب فإن من خاف من حيوان ولم يشهد الله تعالي فيه أي لم يشهد الأمر من الله وان هذا الحيوان لا قدرة له على ضرره، وكيف تكون له قدرة وهو مخلوق وعاجز لا يتحرك إلا بقدرة الله تعالي، فقد أثبت له التأثير حيث خاف منه والخوف لا يكون إلا من الباري I، وإذا حصل له الخوف من الحيوان فقد صار مشركاً وشركه واضح عند أهل البصيرة لان يحتاج فيه إلي إيضاح وبرهان، وإنما قال الشيخ رضي الله عنه خفياً لأنه لا يعرفه إلا الواصلين ولهذا كان على رضي الله عنه لا يكترث ولا يتوقف في كافة الأمور لقوة يقينه في وحدانيته وقدرته تعالي، وكذا أهل الله تعالي لا يخافون من الخلائق كلها بل يخوضون مواضع الذئاب والفيلة والأشياء المفترسة، حتى أن أحدهم يمشي على الماء من غير سفينة ويركب الذئاب والفيلة، وإنما فعلوا ذلك لأنهم لا يشهدون لها قدرة ولا تأثير لفنائهم في قدرة الله تعالي، فعليك أيها الأخ بالخروج من الشرك الخفي فإنك عند ذلك تكون بعهدٍ وفي، فإن أردت أيها الأخ الدخول في هذه المقامات ومشاركة السادات فعليك بالعلم النافع في جميع الحالات وأحرص عليه في كل الأوقات ينتفي عنك الأغيار وتكون من أهل الحضرات وإلي هذا أشار الشيخ بقوله العلم النافع ما حال بينك وبين الأغيار وأشهدك به لا بك جمال العزيز الجبار لا تخرج عن شهود المنان إلا بعد أن يغنيك عن حياتك العلم النافع ما كان مأخوذ من كتب الله وسنة رسول الله ρ فإذا عرفه المريد وفهمه وعمل به أشرق ظاهره بالشريعة وتنور باطنه بالطريقة وانكشفت له عند

ذلك علوم الحقيقة فيفيض عليه العلم اللدني ويذوق الإلهام الرباني ويصير يشاهد الأمور كلها بالبصيرة كما يشاهد البصر المحسوسات ويفتيه قلبه في المشكلات كما قال ρ ((استفت قلبك وإن أفتاك المفتون)) فالقلب الذي تخلص من الأغيار ونزعت منه الشهوات وشاهد الذات هو يستفتي في سائر المشكلات، فهذا هو العلم النافع الذي تكلم فيه الشيخ وما سواه مذموم، فكل علم لا يحيل بينك وبين الاغيار ويشهدك جمال العزيز الجبار لا فائدة فيه وهو غير نافع بل هو تأكد حجة على صاحبه ولذلك قال ـ عطاء الله ـ العلم ان قارنته الخشية فلك والأفعليك، قال الغزالي: العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة انتهي، فعلم المكاشفة هو الذي تنكره عقول الضعفاء من أهل العلوم وتشمئز من سماعه أهل البصيرة الضعيفة وهو عند أهل الله مفهوم، ولهذا قال الشعراني: في الميزان عن الشيخ محي الدين أوائل الفتوحات من علامة العلوم اللدنية ان تمجها العقول من حيث إنكارها ولا يكاد أحد من غير أهلها يقبلها إلا بالتسليم لأهلها من غير ذوق، فعليك أيها الأخ بظاهر العلم وباطنه ولا تغتر بعلم المعاملة ولو كنت من أهل التصنيف وغص بالبيرة لتدخل علم الحقيقة الذي هو عزيز شريف ولأجل ذلك قال الشيخ رضي الله عنه: لا تخرج عن شهود المنعان إلا بعد أن يفنيك عن حياتك وشهود المنعان هي نفسك والشيطان، لأنهما الذي منعاك من شهود حضرت مولاك فالنفس حجاب لك بإتباع هواها والشيطان معين لها على شهوتها ومناها فإذا أفناك عنها شهدت حضرت وملاك وفنيت عن حياتك وخرجت منها وشهدت عظمة الله تعالي بظهور صفاته في الأكوان وكان الحق سبحانه لك السمع والبصر واللسان، ولهذا المعني أشار بقوله متي لا يعرف حقيقة مظهر صفاته في الأكوان إلا من كان الحق له السمع والبصر واللسان يعني أنه لا يعرف حقيقة ظهور صفاته في المخلوقات إلا من كان يسمع بسمع الله ويبصر ببصره ـ كما في حديث ـ حتى إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وهذه الأمور لا تدرك إلا بالذوق والمعاينة ومن لم يصل إلي هذا المقام فعليه بالتصديق بأهله لتحصل له الولاية الصغرى، كما قال الجنيد رضي الله عنه: التصديق بطريقتنا هذه ولاية آ صغري، فاغتنم أيها الأخ هذه الولاية وخذها نقداً حاضر بلا تعب وإياك والتبادر بإنكارها فإن الإنكار يمنع الأسرار ويحجبكم عن منازل الأخيار متي أشهدك إياك بك فقد ذلك ومتي أشهدك إياك به فقد عظمك يعني الله I إذا أشهدك إياك بك فقد ذلك، أي إذا أشهدتك نفسك وتدبيراتك واختياراتك ومراداتك ووفقت مع بشريتك ودنياك وشهواتك وهو يك ما علم أن الله I فقد ذلك بحيث لم تشاهده ولم تتمتع بجنة القرب وبقيت منها

مطروداً عن ملاحظتها محوداً وإذا أشهدك إياك به أن يفنيك عن الرذائل السابقة وعن الدنيا وسائر الأكوان ويدنيك وفي حب ذاته يغنيك فإذا فعل ذلك معك فقد عظمك ولهذا قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ إذا أردت أن تعرف مقامك فأنظر وفي ماذا أقامك، وقال بعض العارفين إن لله تعالي جنة في الدنيا من دخلها لم يحتاج إلي جنة الآخرة ولا إلي شئ وهي جنة القرب والشهود والوقوف على الشريعة بالحدود فإن أردت أيها الأخ الدخول في جنة العارفين فالزم طاعة مولاك في كل وقت وحين ور تشتغل بالدنيا فإنها من علامات المنافقين ولا تعرف هذه المعاني إلا بعد أن يغنيك في صفاته فعند ذلك تشاهد هذه الأمور باليقين إذا أفناك في صفاته القائمة به فقد عرفك في مخلوقاته بقدرة ذاته لأنه إذا أفناك صفاته لا لم تشهد صفة غيرها في المخلوقات ويصير الكون كله مظهر لجمال ذاته، كما قال أبو امدين في همزيته:

وما الكون إلا مظهر لجمالها ارتنائه في كل شئ بدا حسناء

وإذا أشهدته كذلك فقد عرفك في مخلوقاته بقدرة ذاته وإذا عرفته فقد كنت من الأحرار واستأنست بهذا الشهود وهذا هو مقام الأنس ومن دخله لم يستأنس بشئ سواه ولذلك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ في حكمه علم أنك لا تصير عنه فأشهدك ما برز منه فعليك أيها الأخ بهذه المقامات ولا تطلب سواها وافن في شهود الله تكن من السادات تارة يظهر عليك شموس أوصافه فتكون قادر بالله وتارة يحجب لك عنك فتكون ما شاء الله ينبغي لك أيها المريد إلا تعترض على مولاك ولا تختر لنفسك حالاً أو مقاماً فإنه سبحانه تارة يظهر عليك شموس أوصافه فتكون قادراً بالله فإن المريد إذا أظهرت فيه الخصوصية وتجلي الله تعالي على قلبه شطح وظهرت فيه أوصاف الربوبية قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: كنت يوماً والسباع حولي فلم أكترث لها وجئت في اليوم التاني في ذلك الموضع فطار فيه سرب من القطا فحصل لي هيبة وخوف فتعجبت من حالي فقلت كنت أمس في تلك القوة والآن سرت في هذا الضعف فنوديت في سري أمس كنت بنان واليوم كنت بنفسك ولهذا قال رسول الله ρ: تارة لا أعلم ما وراء جداري لما ضلت ناقته فلم يعرفوني ذهبت فقال المنعوت يخبركم بخبر السماء وهو لا يعلم أين ضلت ناقته فقال ρ: لا أعلم ما وراء جداري إلا أن يعلمني الله ولو أعلمني أنها في الشعب الفلاني عند الشجرة الفلانية فذهبوا فوجدوها كما قال ρ وتارة يقول لا تسألوني عن شيء في هذا المجلس

إلا أخبرتكم وهكذا صفة العارف مع مولاه فإن الماء يختلف بحسب إنائه ولذلك قال الجنيد: إذا رجعنا إلي أنفسنا عطل ذلنا ذل اليهود وإذا رجعنا إلي الله فخرنا على الملوك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ
ربما أورد الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك، وقال الشعراني: كان ابن عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله الخلق في بعض الأوقات بالغفلة لماتوا من خشية الله تعالي وهذا من ثمرت قوله وتارة يحجب عنك فتكون ما يشاء الله فافهم أيها الأخ هذه الأسرار وأفهم إن كل عن ورفعة حصلت لك فإنها من كرم مولاك وان شهدت من نفسك الضعف والعجب فاعلم أن ذلك من نفسك وله في كل شئ حكم لا يعرفها إلا خواص بل هي حكم لا يعرفها إلا هو سبحانه وتعالى ولا تصغا لك الأسرار إلا بعد أن يرح باطنك جملة من منازعته بأن يخلع عليك صفة من صفاته كما أشار إلي ذلك حيث قال لا يخلع عليك صفة من صفاته إلا بعد أن يرح باطنك جملة من منازعته إن كنت عارفاً به أشهدك موتك لكماله حياته وإن كنت عارفاً بك غط ذلك إذا أراد الله تعالي أن يوصل عبده إلي حضرته وإن يدخله في مجاورته وحزبه نزع عن قلبه المنازعات وأراح باطنه من المخالفات وجملة الدعاوى والشبهات فيغنيه من قدرته ويدخله في قدرة ذاته تعالي ويغنيه من إرادته ويدخله في إرادته تعالي ويغنيه من اختياره باختياره تعالي وأراح باطنه جملة من المنازعات فعند ذلك يخلع عليه صفاته تعالي وتظهر فيه أوصاف الربوبية من قدرة الله والعز بالله ويكون في مراد الله بابظوائه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فأوصلك بما منه إليك لا بما منك إليه فإن هذا لا ينال إلا بمحض العناية الربانية ومن لم تساعده عناية الله فهو بمعزل عن هذه المراتب الرحمانية فالزم أيها الأخ شكر مولاك على كل حال والزم خدمته بأدب الشريعة باجتناب الحرام وبإتباع الحلال، وسر سير أهل الله حتى يشهدك مولاك بغنائك عنك تكن عارف بكمال حياته وإن شهدت حياتك غط أي حجب ذلك والشهود والفناء عنك لان الحياة من صفاته تعالي لا من صفاتك فإن خلع من صفاتك الرزيلة وأدخل في صفاته الجليلية من الشر المبعد لك من المعراج للحضرة وقوفك بين يدي الملك القدوس في الصلاة وقلبك مشرك مع قدسه معرض عن وجهه جائل فيما بثواه شرع الشيخ رضي الله عنه يبين لك أيها المريد حضور القلب في الصلاة ويرشدك إلي ذلك ليرفعك عن الأغيار ويبعدك من الشرك وشهوداً لآثار فقال: من الشرك المبعد لك من المعراج للحضرة وقوفك بين يدي الملك القدوس في الصلاة وقلبك مشرك مع

قدسه وهذا والعياذ بالله من الشرك الخفي لأنه واقف بين يديه تعالي بجسمه وقلبه معرض عن شهود قدسه أي عظمته تعالي فإن هذا الإعراض من الشيطان لأنه قاطع لطريق الواحد الرحمان فإذا أتبت إلي الصلاة ففرع قلبك من الأغيار يملاه بالمعارف والأسرار ولا يكدر مناجاتك الشيطان ويشغلك عن لذة الحضور والمناجات لك الريان فإن عمرك واحد إما لك أو عليك ليس للقلب إلا وجهة وحدة فمتى توجه إليها حجب عن غيرها فعليك بالحضور ـ وفي الحديث ـ ((أن العبد يصلي الصلاة لا يكتسب له منها سدسها ولا عشر)) وإنما يكتب للعبد من صلاة ما عقل وقد قيل ركه مع حضور قلباً مع من مل الأرض عبادة مع الغفلة، وقال سيدي على الخواص: كل عمل يعمله العبد وقلبه غافل سارح في أودية الدنيا غير محسوب له عند الله تعالي بل هو مستحق للعقوبة كما قيل شعر:

اذنوبك في طاعة وهي كثيرة إذا أعدت تفنيك عن كل ذلة تصلي بلا قلب صلاة فمثلها

يكون الفتى مشتوجب للعقوبة وفي الخبر لا ينظر الله إلي صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه، وقال أبو هريرة: ما التفت رجل في الصلاة إلا قال الله له أنا خير مما التفت الله، قال الله تعالي: ((فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون))، أي غافلون عن حضور القلب فيها ولهذا قال سيدي: ـ ابن عطاء الله ـ فما كل مصل مقيم، قال ابن عباد: ليس كل من وجدت منه صورة الصلاة وجدت منه إقامتها فالصلاة تسبح وصورتها إقامتها ولا يحسن الشبح ولا يكمل ولا يصلح لملك الملوك إلا إذا وجدت فيه الروح، فالوصيفة الميتة إذا أهديتها لملك من الملوك كنت مقابلاً بالردة والحرمان، وكذلك الصلاة الخالية من حضور القلب، ولقد أفلح أهل الله تعالي بتزكية نفوسهم كما قال تعالي ((قد أفلح من زكاها)) ولقد خاب غيرهم ((قد خاب من دساها))، روى ابن مسلم ابن يسار لم ياتفت في صلاته قط ولو انهدمت ناحية المسجد حتى افاع أهل السوق لهدمه وهو في المسجد يصلي فلم يدر ذلك وقال شحيط ابن عجلان: عجبت من ابن آدم بينما هو في الصلاة يذكر الله والدار الآخرة إذا أكلته برغوثة أو قملة فينسي ذكر الله والدار الآخرة، فأفهم أيها الأخ هذه الإشارات بقلب حاضر وأعمل بمقتضاها وأحذر من القصور والفتور وأسلك الطريقة لعلك تفهم معني الشريعة والحقيقة، الحقيقة لا مشهدها أن الله واحد في فعله والشريعة مثبتة لأفعال خلقه بكثير قوله فمن اعتقد بفاعل غير الله تعالي فشركه خفي، فمن غاب عن بلا ثات شهود والمؤثر صاحب حقيقة فقط ومن شهداء الإثار ولم تحجبه عن روية المؤثر صاحب حقيقة وشريعة انظر أيها الأخ إلي هذه العبارات ما أحسنها وأحلاها من

إشارة فإن الشيخ رضي الله عنه أجاد في التعبير ونطق فيها بحكم من العلى الكبير وفصل فيها تفصيلاً حسناً شفياً جلياً مرضياً وبين فيها مقام الجمع والفرق ومن تحقق بهما فقد تحقق بالصراط المستقيم وذلك غاية المنى ويكون متحققاً بالبقاء بعد الفناء، فقال رضي الله عنه: الحقيقة مشهدها، أي مشربها ومقامها بالنظر إليها ان الله واحد في فعله قال الله تعالي: ((قل هو الله أحد)) أي في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وبهذا النظر ينتفي الشرك وتثبت وحدة الأفعال وهذا لا يثبت أفعال المخلوقات وإنما هو ناظر إلي وحدة الذات هذا مقام الحقيقة ومقام الفناء والشريعة مثبت لأفعال خلقه بكثير قوله أي بكثير من قوله تعالي ((ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه))، وقال الله تعالي ((ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون))، وقال تعالي ((وما تفعلوا من خير يعلمه الله)) وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن بالمعروف إلي غير ذلك من الآيات.

وهذا يثبت أفعال المخلوقات هذا معنى قوله الحقيقة مشهدها أن الله واحد في فعله والشريعة مثبته لأفعال خلقه بكثير قوله ثم يبين كيفية شرك الناس في الحقيقة والشريعة فقال: ومن اعتقد بفاعل غير الله تعالي أي من أسند الفعل إلي غير الله بأن أسنده إلي مخلوق فشركه جلي أي ظاهر لكل أحد من الناس وقد ضل في هذا خلق كثير كما هو في كتب الكلام وبيان ضلالهم يثبتون القدرة للمخلوقات وهم المعتزلة كما ضل من قلبهم في الحقيقة وهم المعتزلة القائلين إن العبد لا فعل له وإنما هو كخيط معلق في الهواء تميله الريح كيف يشاء وأنشدوا في ذلك:

ما حيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال أيها الراءي

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك ان تبتل بالماء وبيان ضلالهم انهم ينفون أفعال العبد الحادثة فقد نفوا الشريعة المحمدية المثبت لأفعال خلقه، وليس غرضنا كلامهم ومقالاتهم وإنما غرضنا بيان الحكم فقط أي دون الإكثار في خلافاتهم وإنما محله علم الكلام ثم بين كيفية الشرك الخفي وهو شرك المؤمنين كافة إلا أهل الله تعالي فقال ومن كل سانداً يعنى ساند الأفعال إلي الله تعالي مع اعتقاده لخلقه فشركه خفي وإنما صار شركه خفياً لأنه ساند لفعل إلي الله وإلي العبد فاشركه مع الله تعالي ثم بين ضي الله عنه كيفية السائرين إلي الله الواصلين إلي حضرته فقال: فمن غاب عن الاثار أي المخلوقات شهود المؤثر أي الخالق صاحب حقيقة فقط لأنه لا يشهد إلا الله تعالي وقد فني عن الأغيار وهذا مقام

الحقيقة الذي يعبرون عنه بالجمع والفناء واصل ذلك، قوله تعالي ((قل الله ثم ذرهم في حوضهم يلعبون))، وقوله ρ: ((كان الله ولا شئ معه وهو لان على ما عليه كان))، ثم بين مقام الكاملين أهل الرشاد الوارثين الأنبياء من العباد، فالأول كامل لكن هذا أكمل منه فقال ومن شهد الاثار ولم تحجبه عن رويته المؤثر صاحب حقيقة وشريعة وهو العارف المتمكن الذي تشرف بمقام البقاء بعد الفناء الذي يصلح أن يقال في حقه... رق الزجاج ورقت الخمر وتشابهاً مشكلاً فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر فهنئاً لمن تحقق بالبقاء بعد الفناء وجمع بين الشريعة والحقيقة وسلك الطريقة وكان وارثاً لسيد الخليقة وقال ρ:((الشريعة شريعتي والحقيقة حقيقتي)) فالشريعة على وزن الحقيقة والحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بينهما زندقة وكفر، وقال في كتاب أبو مدين وقال أبو القاسم الجنيد: أول ما يجب على الطالب بعد الواجب المعروف علم الشريعة ثم الطريقة ثم الحقيقة وكان ρ ظاهرة شريعة وباطن طريقة وباطن حقيقة، وقال الشيخ نجم الدين: الشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر والحقيقة كالدار فمن أراد دخول البحر فاليركب السفينة ثم يشرع في البحر إلي أن يصل إلي الدار فمن ترك هذا الترتيب لم يثبت وصوله، وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه الشريعة والطريقة والحقيقة مرتبات، أما الشريعة فعل المأمورات وترك المنهيات، وأما الطريقة فهو أخذ بالتقوى والتقرب إلي المولي من قطع المنازل والمقامات، وأما الحقيقة فهو الوصال ومشاهدة الحضرة الإلهية وخلو الفؤاد عما سواه فإن أردت أيها الأخ الدخول في هذه المقامات والشرف بتلك السعادات فعليك بالشيخ الكامل الذي مذاقه كامل ونوره هاطل وهو إلي الله تعالي حقيقة واصل وألزم له الأدب فإنك بذلك تكن من الأحباب كما قال رضي الله عنه: ان أردت الشرب من بحر أهل الحقيقة ولك شيخ مذاقه كامل ونوره هاطل وقلبه عما سوى الرحمان غافل لا تكره ما يريد بك به فإن يريد بك الأدب مع ربه شرع الشيخ رضي الله عنه يحثك على الأدب ومن لازم الأدب صار من الأحباب ومن لم يتبع الأدب لم يذق شئ من الشراب ولم يصل إلي الملك الوهاب وقد صار باقياً في الحجاب وهذا والعياذ بالله من أشد العذاب، قال رضي الله عنه: إ، أردت أيها المريد الشرب من بحر الحقيقة أي الوصول إلي مشارب أهل الحقيقة وكان لك شيخ مذاقه أي ذوقه كامل ونوره هاطل أي يعنى ان قلبه غريق بالأنوار فانى عن الاثار وفي كلام الشيخ إشارة إلي أنه لابد أن يكون الشيخ كامل وإلي ربه واصل لان المنقطع لا يوصل وعلى التقدير ان حصل للمريد وصول إلي حضرة ربه فإنما هو غير المنقطع ببركة صدق المريد وللشيخ الكامل علامات أشار الشيخ إليها بقوله:

مذاقه كامل ونوره هاطل وقلبه عما سوى الرحمان غافل لا تكره ما يؤد بك به فإنه يريد بك الأدب مع ربه أي أنه لا يؤد بك لنفسه ولكن يريد أن يؤد بك لنفسه ولربه وهذا شأن الشيخ الكامل يؤدب المريد مع ربه والأدب كثيرة ومن ذلك ما قيل من قال لأستاذه لا يفلح أبداً ومنها متى كان عنده تطلع إلي شيخ آخر لا تصف صحبته وصار بذلك بعيد من الإخلاص والصدق ومنها إلا ينقرض عليه ظاهر ولو رأه فعل منكراً وإنما يكون منكراً عند المريد لا عند شيخه لقصور نظر المريد، وكما ل نظر الشيخ وكلما رأى من الشيخ ما ينكره قلبه فليتذكر قصة الخضر وموسي عليهما السلام ويخدمه ويعظمه ويوقره ويحترمه إلي غير ذلك من الأدب.

آيتان يطهران قلب المؤمن المعتبر من الشرك الأغمص وهما، آية الإمساك، وآية اللبس وهما ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لهما وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم وان يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم يعنى أن المؤمن إذا كان غافلاً يطهر قلبه، من القرآن آيتان فالعاقل من أمنح النظر فيهما وصمم قلبه بمقتضي مضمونها قال الله تعالي: ((ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها... إلي...العزيز الحكيم)) هذه الآيات تثبت قلبه في رزقه وشبهه على أن الله إذا أراد له الخير لا يمسك عنه أحد لقدرته تعالي وعجز المخلوقات وكذلك تنبهه على أن الرحمة كلها منه وإن اختلفت أنواعها لا تأتى إلا منه فليقصد بالإخلاص فإنه شأن الخواص وعجائب كل آية من القرآن العظيم لا تحصي كما قال البصري رضي الله عنه: لها معانٍ كموج البحر في مدده وفوق جوره في الحس والقيم فلا تعدو ولا تحصي عجائبها ولا تسام على الإكثار بالسام فالعامل المعتبر من قنع بهذا المعني وقصد ربه وطهر قلبه من الشرك الأغمص وهو الشك في الرزق لأنه شك في الرزاق ولهذا قال الاغمص أي خفي واعتبر بالآية الثانية وهو قوله وان يمسك الله بضر إلي الغفور الرحيم فهي تدل على ان الله هو النافع ولا نافع سواه وهو الضار ولا فاعل في الكون إلا إياه فإن كنت مؤمناً معتبراً كما قال يطهران قلبك أو يوصلاك إلي حضرت مولاك كما في السلف الصالح فإنهم كانوا يصلون إلي الله بالآية الواحدة ويعلمون ويكتفون بالحديث الواحد كما روي ان بعضهم حضر مجلس الحديث وكان أول حديث روي قوله ρ: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه))، فأنظر رحمك الله إلي كمال عقله ولترت عزمه وإخلاصه مع ربه فهكذا المؤمن المعتبر وأما من كان همه جمع العلوم للشهرة ولحب

الرياسة فإنه يجمع كثيراً من العلوم ولا يعمل بواحد منها بمنطوق ولا مفهوم بل للقيل والقال ولا يهمه الامتثال معرفة التوحيد الظاهر تقوية لتوحيد الباطن إن سلم صاحبه من دائه الكامن ونظر إليه تعالي في المحرك والساكن قد تقدم أن للتوحيد ظاهر وباطن في الحكمة السابقة بقوله التوحيد ظاهره التنزيه عما لا يليق بالذات المقدسة العلية وباطنه نفي الحولي والقوة منك عنك بالكلية والشار هذا إلي الحكمة في ذلك فقال معرفة توحيد الظاهر تقوية التوحيد الباطن أي إنك إذا وجدته باطناً فقد عرفته بنور البصيرة وتنورت لك السريرة فإن كنت عارفاً بتوحيد الظاهر فقد قويت توحيد الباطن بوقوفك على الدليل كتاباً وسنةً وإجماعاً وصرت جامعاً بين الظاهر والباطن وإذا عرفت توحيد الظاهر احتجت إلي توحيد باطن التوحيد وهو خروجك عن حولك وقوتك بفنائك عنك وشهودك إياه فلو لم توحده باطناً وتشهده بنور البصيرة وتفنى في شهوده لا تكون عارفاً بمجرد الدليل لأنه المعرفة بالدليل جهل محض عن العارفين قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ شيئان بين من يستبدل به ويستبدل عليه وسيأتي المصر العارف بالله أن يشهد الله في كل شئ يراه والعارف بنفس من لأستدل عليه بما سواه فعليك أيها الأخ بالجمع بين توحيد الظاهر والباطن فإن جمعت بينهما شربت من ماء غير آسن ومعني قوله إن أسلم صاحبه من دائه أي مرضه الكامن مراده بالداء الكامن شهود الاغيار فما دام العبد يشهد الاغيار فهو محجوب عن شهود الملك الجبار وما دام محجوب فداوه كامن فإذا فني وفي شهود الله ذهب عنه الشرك الخفي وهو الذي سماه بالداء الكامن ولذلك قال ونظر إليه تعالي في المحرك والساكن وهذا هو الذي سماه توحيد الباطن ما أحب رجلاً أن يعرف بار بإظهار الكرامة إليه وانقياد الخلائق عليه إلا ذهب دينه وفسد في دينه مولاه يقينه أدفن نفسك في التراب وأذكره حياً وامتثالاً وبينت الأسباب تنال مواهب الوهاب، أنظر أيها الأخ إلي هذا الكلام ما أخلاه في القلوب وما أحسنه من مشروب فإن الشيخ رضي الله عنه تكلم في هذا المقام بكلام لا يعرفه إلا الخواص ولا يعمل بمضمونه إلا من دخل الحقيقة وفيه غاص، قال رضي الله عنه: ما أحب رجلاً أن يعرف بإظهار الكرامة إليه الكرامة على قسمين كرامة عند العوام وكرامة عند الخواص، فالكرمة عند العوام هي خرق العوائد من الطيران في الهواء والمشي على الماء والكشف على ما في الضمير وظهور الأمور الغريبة عند الناس إلي غير ذلك من إفشاء الأسرار والكرامة التي عند الخواص هي الفناء بالله وملازمة حضرت الشهود والاستقامة على الشريعة بالحدود كما يأتي له في قوله الكرامة العليا أن تغيب عن نفسك وعن الأكوان بشهود الله ربما

برزت لك الكرامة وأنت لم تري الحق أمامك قال سيدي ـ أبن عطاء الله ـ ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة ايضاً ليس كل من ثبت تخصيصه بالمقامات والأسرار والأنوار كمل تخليصه منها لكونه قد يقف معها ويسكن إليها وتكون له حجاب فسبب العذاب وجود الحجاب وتمام النعيم النظر إلي وجهه الكريم وقال ايضاً ربما أعطاك وملاك المقامات والمكاشفات والأحوال والأنوار والأسرار فمنعك فوائدها ونتاجها حيث سكنت إليها ووقفت معها وكنت حجاباً لك وكل من كان الله حجاب فهو عند الواصلين عذاب وصاحبه غير معتبر عند أولي الألباب والكرامات أمر خارق للعادة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم وإن لم تكن على يد من هو مستقيم فإن كان من فاسق فهو استدراج قال تعالي: ((سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)) أين كلما أحدثوا ذنباً أحدثنا لهم نعمة زيادة لهم في الضلال وإن كان من بعض العوام فيسمي معونة ولا شك إن الكرامة تنقص في الاستقامة لأنها سبب لأبخل الخلائق الذين هم حجاب من شهود الملك الوهاب ولأن صاحبها أقل أن يسلم من العجب فيها لآن الإنسان لا يقدر على كيد الشيطان ولأنها محل الآفات ولا يسلم من آفاتها الفحول وأرباب المشاهدات والكرامة قد تكون بغير اختيار الولي وقد تكون باختياره وآفات الكرامات كثيرة عند المشاهدين للذات ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: ما أحب رجلاً أن يعرف بإظهار الكرامة إليه ثم ذكر لازمها في الغالب وهي انقياد الخلائق فقالا انقياد الخلائق عليه وفي انقياد الخلائق البلية الكبرى والمصيبة العظمى قل من يسلم منها والانقياد من مضرات الدين ولا شي أضر منها للواصلين وكثير ما يهلك الواصلين بانقياد الخلائق بلا شك بل بيقين لأنك إذا سكنت إليهم ورأيت على أيديهم المنافع كان لكن ذلك السم الناقع وعد إقبالهم عليك ليلاً وأدبهم عنك نهار لا تراهم إذا أقبلوا فتنوا ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: خاف من آحسان الخلق أكثر مما تخاف من شرهم لان آحاسنهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولكن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك وتصليت الخلق على أولياء الله تعالي سنة الله في أي أحبابه وأصفيائه وهذا معني قوله إلا ذهب دينه وفسد في مولاه يقينه كما تقدم ثم أرشدك إلي صفة الخواص فقال أدفن نفسك في التراب يعني أرض الخمول كما قال سيدي ـابن عطاء الله ـ أدفن وجودك في أرض الخمول أي الحقا وتستر للأبرار بكل وجه يبعدك عن الناس ويدونك من المجانين والسفهاء الباطلين ومن هنا لا يجوز لأحد الاعتراض على من يراه في الخمول لاحتمال كونه تستر فهو مقبول ولا يجوز الاستهزاء

به ولا النظر إليه بعين الاحتقار خصوص في هذا الزمان الذي إختفى فيه أهل الله جملة إلا القليل منهم فالحذر كل الحذر من أهل الخمول ثم ارتدك لسير العارفين وسرب الواصلين فقال اذكره حباً وامتثلاً أي طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار بل بقصد العبودية والقيام بحقوق الربوبية قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ من عبده لشئ يرجوه منه أو ليدفع بطاعته وذود العقوبة عنه فما بحق أوصافه وقال أيضاً مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية وفي أخبار داؤود υ أن الله تعالي أوحي إليه أن أول العباد إليّ من عبدني لغير نوال ولكن ليعطيه الربوبية حقها وفي كلام الشيخ إشارة إلي أعلى العبادات وهو أن يعمل لأجل الذات العلية أي لأجل عظمته وجلاله وما هو عليه من محامد صفاته التي لا شريك له وأوسطها أن يعمل لكونه عبداً مملوكاً يستحق عليه مولاه كل شي ولا يستحق هو على مولاه شي وأدناها أن يعمل طمعاً في جنته وخوفاً من ناره ونظمها العلامة الاجهوري فقال: أعلي العبادات لأجل الذات، لما به من كامل الصفات، أوسطها لأجل قصد النية أي يكون عبد الخالق البرية، أنزلها لنية الثواب وبها لذا لدفعه العقاب، وعباده أيها الأخ كما أمرك ترتفع منزلتك عنده ولا يفوتك شي من تلك الذات ثم قال وبنية الأسباب تنال مواهب الوهاب أشار إلي هذا إلا أن المواهب الربانية لا تنال الأسباب كما قال تعالي:((وآتينه من كل شي سبباً)) فإذا لم يتسبب لم يكن عاملاً راجياً بل مهنياً وكل تمني فهو غرور صاحبه هالك مثبور فإن أردت أيها الأخ أن تحظي بشي هذه المراتب فعليك بالإخلاص أترك الرياء، الرياء مانع قوي عن وحدة المولي ومصدره عن ثلاثة أشياء، رياء في الأقوال، ورياء في الأفعال، ورياء في الأحوال عند ظهورها الخفي الرياء هو اقاع القربة يقصد بها وجهه وهو على قسمين رياء خالص كأن لا يفعلها إلا للناس ورياء شرك كأن يفعلها لله وللناس والكل مزموم إلا أن هذا أحق من الأول قال الله تعالي: ((فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون)) والرياء مبتل للعبادة بإجماع الأمة لقوله ρ ((فيما يرويه عن ربه أنا أغني الشريكين فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته لشريكي، وقال ρ: ((أدني الرياء الشرك)) وقال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه: كما لا يحب المشترك لا يحب القلب المشرك العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه، وقال أيضاً بما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك، وقال أحمد إبن الجوزى: من أحب أن يعرف شياً من الخير ويذكر به فقد أشرك في عبادته لأن من عمل على المحبة لا يحب أن يراه غير محبوبه ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: الرياء مانع قوي عن

وحدة حضرة المولي، فأخضع أيها الأخ لمولاك وتزلل وانكسر عنك المانع هذا ويرزقك الإخلاص فإن الإخلاص لا يكون إلا في الخواص ويصدر عن ثلاثة أشياء كما قال الشيخ تارة يكون في الأقوال كأن يقرأ ويراء في قرأته أو يتكلم بكلام من الخير ويرأي في كلامه وهكذا وتارة يكون في الأفعال كالصدق وكذا سائر أفعال الخير وتارة يكون في الأفعال عند ظهورها الخفي ولهذا كان القوم يتفئرون عند ظهور الأحوال بعد انقضائها ولا يزال الشيطان يصد الخلق عن طريق الله تعالي بالرياء وغيره من الموانع ولذلك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ الأعمال صورة قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها ولا يتضح لك أيها الأخ الإخلاص ويزيل عنك مانع الرياء إلا بعد شهود مولاك وتكون في إرادته كما قال رضي الله عنه: كن لله عبداً في المراد ولا تكن له عبداً صاحب عناد يمدك بأسرار ربوبيته بين العباد فإن لم ترضي بفعله عليك فإنك عبد لنفسك وهواك وشيطانك ودنياك، شرع الشيخ رضي الله عنه يبين للسالكين مقام التفويض ويبينه لهم بكلام صريح بلا تعريض فإن شرف المريد يكن تسليمه في سائر اموره ويوقف مقام العبيد فقال كن لله عبداً في المراد أي كن حيث أقامك الله لا تختر لنفسك حالاً ولا مقاماً فإن شأن العبد أن لا يكون له اختيار مع مولاه ويراء، أي أن الخير كله فيما أقامه فيه مولاه ومن كان لله عبداً في المراد نال أعلي رتب العباد وصار من أهل السداد فإن من أسلم نفسه مع المقادير ارتاح قلبه وجسمه وترك التعبير وكان متحققاً بالتفويض وهو به جدير قال بعض العارفين يا أخ إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور وإن لم تعتبر حمدت عليك أنت مأزور فليس عليك في عدم الصبر إلا عدم الأجر والعاقل لا يرضي لنفسه بذلك وما أحسن قول بعضهم، ولما رأيت القضايا جارياً، بلا شك ولا مرية، توكلت على خالقي، وأسلمت نفسي من الجرية وقول الآخر، اتبع رياح القضاء وسر حيث ما سارت وسلم لسلمي ودر حيث ما دارت، ولا تكن له عبداً صاحب عناد أي لا تعاند الله في أفعاله فيك ولا في غيرك من المخلوقات فإن فعلت ذلك يمدك بأسرار ربوبيته بين العباد وأسرار ربوبيته هي العرفان تركت العزلة أعزك والقوة فان تحققت بضعفك قواك على كل شي تريده وإن تحققت بفقرك أمدك بغناه وإن تحققت بعجزك يمدك بقدرته فكل وصف اتصف به الله سبحانه وتعالى تركت له وتحققت واتصفت بسواه أمدك بوصفه تعالي وهذا معني قوله فيما تقدم لا يخلع عليك صفة من صفاته إلا بعد أن يرح باطنك جملة من منازعته ولذلك قال: ـ ابن عطاء الله ـ تحقق بأوصافه يمدك بأوصافه وهو معني قول الشيخ يمدك بأسرار ربوبيته بين العباد ثم قال فإن لم ترضي بفعله

عليك فقد كنت عبد نفسك وهواك وشيطانك ودنياك ودخلت في دعاء النبي ρ على عبد الدنيا والشيطان، تقوله ρ تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدنيا رواد أشيك فلا تنعتس وهذا والعياذة بالله تعالي من علامة الخذلان وأهل الشقاوة فإنكسر لمولاك أيها الأخ وأخضع وتزلل له ولا ترضي بعبودية الشيطان وسر كما سار من قبلك في الطريق لتدخل مقام الإحسان فلذلك ترتفع في أعلي المكان وتنسي نعيم الجنان والقصور والحور وتشاهد الملك الديان فإن أردت أيها الأخ هذا المقام فعليك بمجاهدة نفسك بعتابك عنك تكن من المقربين منه لأمنك كما أشار إلي ذلك حيث قال إن أردت أن تكون من المقربين أهل السباق لا تري لوجودك أثر ولا لذلك دفعة ولا لنفسك لا تري لوجودك أثر ولا لذلك دفعة ولا لنفسك عمل منك إليه يساق آثار الشيخ رضي الله عنه إلي إن مقام المقربين لا يحصل لكل أيها المريد إلا بهذه الأشياء الثلاثة ومن لم تكلم به هذه الصفات وهي قوله لا تري لوجودك أثر أي أفن أيها المريد في قربه وشهوده حتى لا تري لوجودك أثر بغنائك عنك كما قيل ولتغن حتى عن فنائك إنه عين البغاء فعند ذلك تراه ولا لذلك رفعة أي فإذا فنيت عن نفسك بشهود الله وقربه فإنك لا تري لذلك رفعة ويحصل لك عند ذلك إلا التواضع الحقيقي، قال الشيخ ـ ابن عطاء الله ـ التواضع الحقيقي ما كان ناشئاً عن شهود عظمته وتجلي صفاته لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف أي لا يخرجك عن وصف الشر إلا وشهود وصف الأزلي فعند ذلك يحصل لك حقيقة التواضع كما قال الشيخ: رن ولا لذلك رفعة ومنها يا أخي يبين لك وصف الولي كونه فانياً أو غير فاني وكونه ناقصاً أو كامل ولا تنظر يا أخي لشدة معرفته بعلوم الظاهر ولا بعلوم الباطن ولا لشدة رحمة الخلائق عليه وتعظيم الناس له وتقديمهم له إياه في المجامع والمحافل ولا تنظر لظهور الكرامات على يده ولو خرق فيها العوائد ولا لثناء الناس عليه في الأذكار ولا تنظر لظهور الأحوال في تلامذته أين ذلك يكون لكثرت أذكارهم والاحتمال كون الإرشاد ليس منه بل من غيره من الرجال فإن هذه الأمور كلها ليست من علماء المقربين ولا من شأن الخواص وأما ما قصر نظره وانطمست بصيرته وانحطت مرتبته فينظر لعلامات الأولياء بهذه إلا نظر وذلك ليس من شأن المقربين ولله درُ الشيخ في العبارات التي عبر بها عن علامات المقربين وما أوضحها من إشارة للعارفين وما أحسنها من إمارة للفانيين، ولهذا جعل ابن عباد شارح ـ ابن عطاء الله ـ مثل هذا الشيخ الموصل بهذه الصفات كالعنقاء فقال: فإن قلت مثل هذا الشيخ كالعنقاء لا يوجد فكيف تأمرني بالوصول إليه؟ وكيف يشرك منك هذا ويحمد؟ فالجواب أن مثل هذا الشيخ موجود لكن بشرطان أن

تبذل في طلبه المجهود وتكون في طلبه كالظمآن لا يقرد قرار حتي يجد الماء أو كاظل الرضيع لوالده لا يسكن حتي يظهر بتعينه، وقد جرت العادة إن آمن سلك في طلب المرشد هذه المسالك ظفر به فلو أن خلا الخلائق والكشف على ما في الضمائر والتضلع في علوم الباطن والظاهر وكثرة الانفاق بكبيرة ونحوها، وشدة العبادة ولم فنها تعد علامة للشيخ المرشد لما جعلوه كالعنقاء لكثرة هذه الأشياء في الخلق ولما جعل الغزالي رضي الله عنه: أكثر الصنيعة مقرونين، ولكن علامات المرشد الكامل الفاني الواصل ما ذكرها الشيخ بقوله فيما تقدم ولك شيخ مذاقه كامل ونوره هاطل وقلبه عما سواي الرحمن غافل وفي هذه المصل بقوله لا تري لوجودك أثر أو لذاتك رفعة ولا لنفسك عمل منك إليه يساق والذي ينبغي للإنسان فهذا الزمان إن أراد الوصول إلي الله والإرشاد أن يسأل الله تعالي ويجتهد في طلب المشرد كالظمآن للماء، فإنه لا يفتر حتي يجد الماء أو يموت، فلذا فعل ذلك وعلم صدقه فهذه المسالك دله الله في أقرب وقت على الشيخ المرشد الكامل الفاني الواصل وقد جربنا ذلك وظفرنا بفضل الله في أسرع وقت على إمام الأولياء كافة والقطب الأكبر الذي عليه دائماً الحضرة النبوية وبه حافة، فعليك أيها الأخ بالتطلع على الأولياء بالبصيرة فإنهم يوصلوك إلي الله في لمحة وتنور لك السريرة ولا تطلبهم بمجرد الكشف ور جلب الخلائق فإن هذا طلب مطموس البصيرة وصولك إلي الله وصولك إلي علم العظمة والجلالة واتصالك بشهود وحدة ذاته وصفاته وأسمائه وبوحدة الأفعال شرع الشيخ رضي الله عنه يبين لك أيها المريد حقيقة الوصول ويفصله لك على الوجه الأكمل ولا يفهمه إلا من حل في هذه المنازل بالدخول وإن فهمه من لم يصل إليه فإن فهمه له بالقال والقيل لا بالذواق له ولا بالحصول وعلامة من يفهمه بالقال والقيل مخالفة لأمر الله تعالي في المعقول والمنقول بل أشد علامة له عدم دفن النفس في أرض الخمول والفرح لكثرة الإتباع ويقولون هذا مقبول والرفعةعلى الخلق والتحيز على خلق الله فإنه من وساوس الشيطان وخدع للنفس بإتباع هواها وما هكذا الله يقول فإن الشيطان لا يضل الإنسان إلا بنص باطل مردود وبإظهاره مقبول، وضعيف البصيرة لا يتفطن لذلك ولا يعرفه ويصير عن الحق في عدول وكل ذلك ليس من علامة الوصول فإن الأمور بالحقائق لا بالدعاوي ومعرفة السماء الإشارات فقال رضي الله عنه وصولك إلي الله وصولك إلي علم العظمة والجلالة أي أنك أيها المريد إذا أفنيت عن نفسك وعن الأكوان وصلت إلي عظمة الله تعالي لا هدي سوي الله فعند ذلك تفني عنك وعن الآثار لما يشاهده قلبك من التعظيم لله والحي له والزهد فيما سواه لأن الإنسان إذا استعظم قلبه شيئاً لا يراه

سواه حتى أنه يعرض عليه في المنام فكيف باليقظة وعنده حد هذا العلم تشاهد الله في الأكوان ويختلف العلم بالعظمة بحسب التجلي وكشف الحجاب حتى إن بعضهم يكون أعلي من بعضٍ من شهود عظمة الذات إلي ما لانهاية له ولذلك قال الغزالي: أول الحجب بين الله تعالي وبين العبد أي نفسه وهذا بعيد ومن ما حكي أن بعض الصالحين قال: يا رب كيف الوصول لك فقال له الحق سبحانه وتعالى خل نفسك وتعال، قال الخضري: فإن من ألغي معال النفس أدخل شاطئ واد الإنسان فإن أول الحجب بين الله وبين العبد هي النفس وهي أول درجات الوصول فناء النفس لا نهاية ولذلك قال بعضهم خلة ابراهيم، ومناجاة موسي، وروحانية عيسي، فطلب ما وري ذلك فإن فضل الله لا حد له قلت من غير حول مني ولا قوة مراد هذا القليل إن الإنسان لا يغتر عن الطلب في العظمة والجلالة ويعيد كل ما تجلي له من عظمة الله تعالي لا يقف معه فإن وراء ذلك أكثر وكما لأنه تعالي لا نهاية لها وبين مراده لو أعطاك مقامها حقيقة لأنه من المحال أن غير المعصوم لا يبلغ مقام اغفصدم ومن رضي من أنواره الحضرة الإلهية بالدون فهو مغبون والحجب بين الله وبين العبد لا تحصي وقول الغزالي: أن لله تعالي سبعين ألف حجاباً، أي فيما علمه هو فيما لا يعلمه الله يدل على ذلك أن أبا مدين قال: هل تحصي الحجب عدداً ملأ والذي تعلمه أن لله تعالي سبعين ألف حجاباً ولا حاجة في تفصيلها انتهي كلام أبو مدين وهذا الذي ذكرته من تفسير علم العظمة والجلالة في العروج والترقي ثم ذكر كيفية النزول والتدلي كما يفهم ذلك من قوله تعالي ثم دني فتدني فقال واتصالك كما يفهم ذلك من قوله تعالي ثم دني فتدني فقال واتصالك بشهود وحدة ذاته وصفاته وأسمائه وبوحدة الأفعال أي بعد فنائك عنك وكشف الحجاب لك يصير اتصالك بشهود وحدة ذاته المص وبهذا الاتصال يصير الشخص واصلاً ويختلف الوصول بشهود وحدة الذات وهذا مقام الفناء وفي وحدة الصفات مقام الهيبة والإنسان وفي شهود وحدة الأسماء أنواع التجليات وفي شهود وحدت الأفعال ترك التدبير والاختيار وهو مقام التسليم كما أمر المصنف عند قوله إذا أخرجك من شركك له في وحدت الأفعال إن خلك بحر التسليم وأسقاك كأساً من الوصول وكل تفاوت الوصول قال صاحب العوارف أعلم إن الإتصال والمواصلة أشار إليها الشيوخ وكل من وصل إلي صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله تعالي بطريق الأفعال وهي رتبة في التجلي فينبغي عن فعله وفعل غيره لوقوفه مع الله تعالي ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والإنسان مما

يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجال وهذا تجلي بطريق الصفات وهي رتبة في الوصول ومنهم من ترقي إلي مقام الفناء مشتملاً على باطنه أنور اليقين والمشاهدة مغيباً في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا رتبة في الوصول وفوق هذه رتبة حق اليقين ويكون في الدنيا من ذلك لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى بها روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا على رتبة الوصول وقال الجنيد رضي الله عنه: الواصل هو الحاصل عند ربه، وقال أبو يزيد: الواصلون في ثلثت أحرف يقيهم الله ويشغلهم في الله ورجوعهم إلي الله، قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ وصولك إلي الله وصولك إلي العلم به وإلاّ فجل ربنا أن يتصل به شي أو يتصل بشي هذا كله من فوائد علم الوصول على الوجه اللائق بحضرته تعالي لا على ما تفهمه العقول ولا يحصل لك أيها الأخ هذا العلم إلا بذوقه ومشاهدة الحق تعالي فعند ذلك يعرف قلبك نتائج هذه العبارات ويذوق لذيذ هذه الإشارات ولله در المصر في هذه العبارات وما أحسن ما صدع بها القلوب من إشارة وما أقمصها وأخفاها على من لم يذق شي من هذه الأذواق بل يجد حلاوتها مرارة فإن كل من تكلم وشطح من أهل الوصول والفناء فإنما هو بمقدار علمه في هذا المعني ور يجد ثمرة هذه الأمور من لم يأكل من فواكهها وجنا، فإنه اتد بها على وجه يفهمه الخواص ويعرف معاني ذلك من دخل بحر الحقيقة وفيه قاص ما أجله أمن أمام وما أكمل ذوقه في مشارب الأقوام فإن الشيخ رضي الله عنه قطب دائرة الأكوان على التمام أمدنا الله بجاه ومدده والسالم من وحد الله بشهود مظها هو الأسماء وجال فكرة في قديم المعني فقد سما يعني إن من دخل وحدق الأسماء وظهر له شهودها وصار له كالعيان وجال فكرة في قديم المعني أي صار قلبه يتفكر في مخلوقات الله بالبصيرة كما ورد تفكروا في مخلوقاتي ترشدوا ولا تتفكروا في ذاتي فتهلكوا وقوله تعالي: ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون))، وقوله تعالي: ((أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت وإلي السماء كيف رفعت وإلي الجبال كيف نصبت وإلي الأرض كيف سطحت))، وقال تعالي: ((أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شي وإن عسي أن يكون قد اقترب أجلهم، وقال تعالي: ((قل أنظروا ماذا في السماوات والأرض)) أي يتفكر في معاني هذه الآية ويحول فكرة في ما تضمنته من العبارات وما دلته علي الذات فيتفكر في السماء وكواكبها والشمس وضوئها وكبرها على الأرض بأربع مرات ويتفكر في نفسه كيف خلقها؟ في من أذن وعين وحاجباً وأنف وفم ولسان وشفتين ويدين وأظفر وكيف اليد تتفتح وتضم؟ إلي غير ذلك فإنه مما يدل على

قدرت الله تعالي هذا معني جال في قديم المعني أي فيما يوصله إلي قدرة قديم المعني فقد سمي أي على وارتفع عن الأكوان ولا يحصل له العلو أو الارتفاع أيها الأخ إلا أن يوصلك المنان لأعظم مكان فعند ذلك لا نشهد إلا الملك الديان كما قال أن وصلك المنان لأعظم مكان أشهدك لا أنت ولا أكون كان الله ولا شي معه وهو لأن على ما عليه كان أشار الشيخ رضي الله عنه في الحكمة إلي الفناء وهو أعظم مكان وذلك أن تفك عن نفسك وعن الأكوان بشهود الواحد الديان فترتفع منزلتك عنده وتنسي نعيم الجنان كما ورد في الحديث كان الله ولا شي معه هذا الحديث يشير إلي الفناء ولكن الله موجود باق والإنسان معدوم فاني لا وجود لغير الذات المنزه عن الشبهات فإذا لم يفني بشهود الله لا يصل إلي أعلي المكان ولو نظر في الدنيا إلي الجنان وشاهد اللوح المحفوظ وعرش الرحمان وانكشف له جميع المغيبات وصار بخير بذلك لأنه من صفاتك فعند ذلك تغير في عظمته تعالي وتنسي ذلك وتذهب عنك اختياراتك وتدبيراتك إن أردت بإرادته لا تكن مشركاً بوحدة ذاته لا تدع أوصافه المختصة به وهو الوجود ولوازمه أي أن أردت أيها الأخ المريد أن تدخل وتكون في إرادته وذلك بفنائك عن إرادتك فإذا فنيت عن الإرادة منك كتب في إرادته وهذا شأن من ترك في إرادته وكان لله عبداً في المراد أعطاه الله ما أراد عبدي إن سلمت لي في أريد أعطيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد لا أعطيك ما تريد ولا يكون إلا ما أريد هذا معني قول الشيخ إن أردت بإرادته أي أن تكون بإرادته البا بمعني مع أي مع إرادته والبا بمعني في أي أن أردت أن تكون فانياً عن إرادتك في إرادته لا تكن مشركاً بوحدة ذاته ويحتمل أن المعني إن أردت بإرادته أي أن أردت أيها المريد وذلك يكون بإرادته لأن إرادة العبد لا تكون إلا بإرادة الله تعالي إذا الإرادة لا تكون إلا لله وحده لا تكن مشركاً بوحدة ذاته أي لا تشرك بالله شيئاً كما قال تعالي: ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ثم قال لا تدع أوصافه المخصّة به وهو الوجود ولوازمه يعني بلزومه القدرة والإرادة والقوة والعز والفناء أي لا تدع هذا الأشياء وأفن في هذا الشهود ولا تعد موجوداً سوي المعبود كما قيل ولا تعد غيره موجود فتفني عن بابه مطرود فإن الوجود كله عدم وإنما وجودنا نار بتجلي الحق فيه كما أشار إلي ذلك بقوله الوجود كله ظلمة وإنما نار تجلي الحق فيه فمن شدة قهره لك وقربه منك أن يشهدك قرب ذاته منك وجب الفناء في ذاته عنك الوجود في ذاته معجل كما قال تعالي: ((كل شي هالك إلا وجهه)) وأما وجوده الذي تشاهده هذا فإنما هو بإيجاد الله تعالي وتحليه فيه ولذلك قال الوجود كله ظلمة أي عدم لأن العدم ظلمة والوجود نور وإنما ناره

فيه قال تعالي: ((الله نور السماوات والأرض)) أي منورهما يعني بوجودهما ولذلك لا يوجد عند ظهور صفات الله بتحليه على العبد بل بفناء ويرجع إلي عدمه الأصلي قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته، وقال أيضاً: لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود ابصاروه لذلك قال الشيخ: الوجود كله ظلمة وإنما أناره تجلي الحق فيه أي وإنما وجد بإيجاد الله له وكذلك يذهب ويتضح عند تجلي صفات الله تعالي على العبد ثم قال فمن شدة قهره لك وقربه منك أن يشهدك قرب ذاته منك أي فمن شهدت قهر الله تعالي لك كما قال تعالي: ((وهو القاهر فوق عباده)) ومن شدة قربه منك كما قال تعالي: ((ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)) أن يشهدك اكتحال بصيرتك وظهور شعاعها قرب ذاته تعالي منك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ كيف إن يتصور أن يحجبه شي وهو أقرب إليك من كل شي ولكن عمي البصيرة وانطماس القلب بالأغراض الدنيوية والشهوات النفسية من رئاسة وغيرها يحجبك عن شهود فإذا انجلت البصيرة وظهرت شعاعها شهدته بنور البصيرة، قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ شعاع البصير يشهدك قربه منك ثم قال أوجب الله تعالي لك الفناء في ذاته عنك إلي عن نفسك أي تفني في شهوده عن شهود نفسك ولا يصير لك أيها الأخ هذا الفناء إلا بعين البصيرة، كما قال ـ ابن عطاء الله ـ وعين البصيرة يشهدك ربك لوجوده، وقال الاخضري: وانقطق علائق الشيطان وظهرت بصيرة الإنسان بل عند ظهور البصيرة لا تشهد أسواه وهذا المقام مقام الفناء المعبر عنه بالجمع وفي كلام الشيخ لقوله أوجب الفناء إشارة إلي وجوب الفناء عند أهل الله تعالي، قوله تعالي: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)) ولا شك أن النبي ρ سيد العارفين من الأنبياء والمرسلين والخلائق أجمعين وأن أصحابه فانيين في حب الله ولا شك أن الله أمر عباده المؤمنين بما أمر به المرسلين ولا شك إن لم يفني في الله لا يتخلص من الشرك الخفي الكامن وقد قال الله تعالي: ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)) فالمؤمن وإن امتثل أمر الله ونهيه على الشريعة المحمدية إن لم يفني لا كمل إيمانه وكمال إيمانه يكون بكمال حبه في إقباله وكمال حبه بكمال الفناء في ذاته تعالي فواجب على الإنسان أن يجاهد نفسه والشيطان ليهديه الله سبله كما قال تعالي: ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)) وقال تعالي: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) ولا شك أنه لا يكون العبد عبداً حتى لا يحب إلا الله ورسوله كما قال: ـ ابن عطاء الله ـ ما أحببت شيئاً إلا وكنت له عبداً وهولا يحب أن تكون عبداً الفقير ومن هذا تعرف معنى قوله ρ: حب الدنيا رأس كل خطيئة وتلمع لامعة من قوله تعالي: ((لا

تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)) ونقمهم معنى قوله تعالي: ((واعملوا إنما أموالكم وأولادكم فتنة)) ولا يذوق هذه الأمور من انطمست بصيرته ولا يؤمن وبصيرته ويصف بها من انخمد نور سريرته ولكن النفس والشيطان يصدان الخلق عن طريق الله تعالي والشيطان يستدل لها من ظواهر القرآن العظيم الحديث على ما يوافق هواها وهى تتبع شهواتها ومناها ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت إنك بعملك تخلصت منى فيهلك، قد وقعت في حياتي ولا تتضح لك هذه الأذواق مادمت لم تفني وأنت مع الوجود كما قال رضي الله عنه: أنت مع الوجود مادمت تشهد لك معه وجود فإن اصطفاك وهناك وجذبك وأدناك غيبك عن إياك يعني إن المريد مادام يشهد نفسه ويشهد الدنيا وهو لم يفني عن الأثار ولم يتخلص من الشرك الخفي وهو شهود الأغيار فهو مع وجود وشهود نفسه ولم يخرج عن حدوده ولذلك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدت المكون كانت الأكوان معك ثم أرشدك إلي مقام الفني بقوله فان اصطفاك أي اختارك عبداً له لا للأغيار وهناك أي أدخلك مقام الهناء وهو الفناء وفي الهناء غاية المني وجذبك إليه تعالي بأن أراد يوصلك إلي شهود ذاته تعالي وأدناك أي أكمل لك محبته تعالي على التمام غيبك عن إياك أي شهدك عظمة ذاته تعالي وأفناك فهذا تغييب عن إياك وفي قول الشيخ هناك إشارة إلي أن دخل هذا المقام أغني مقام الفناء إنه يهني ولا يهينه إلا الواصلين لا الذين عن الله محجوبون فإنهم يرونه من المجانين وكيف لا يهني وقد هنأه الله تعالي بشهوده فقربه وأدخله واسع فضله وجزبه والتهنئة مأخوذة من قوله تعالي في حق أهل الجنة ((هنيئاً بما كنتم تعملون)) وقوله تعالي: ((هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)) ولذلك تري الدنيا وأهلها يهنون بعضهم بعضاً عند حدوث شي جديد فعليك أيها الأخ بملازمة الطاعات وفنائك عنها بشهود الفضل من الله لكن من السادات وأخضع لله وانكسر في كل وقت وحين ليبعد عنك الذنوب والخطيئات والزم لأدب في الشريعة تكن من العارفين بالذات أن كنت عارفاً بذاته أشهدك عدمك لوجوده وإن كنت وإن جاهلاً بذاته أشهدك وجودك لعدمه أشار في هذه الحكمة إلي معرفة توحيد الذات لان مشهد الذات لا يبغي له وجود لوجوده تعالي وعدم المخلوقات وصاحب هذا الشهود لا ينبغي بنفسه ولا بالصفات فإذا انسد عنه شهود الذات تنزل إلي شهود الصفات فيري بقلبه وينور بصيرته إلي الأكوان وتصير له كالمرات يشاهد فيها جمال الذات كما قيل شعر..

ومـا الكون إلا وظهر لجمـالهـا أرتنا به في كل شــي بدأ حسـناء

فالمقام الأول مقام الجمع والفناء والمقام الثاني أعني شهود الصفات مقام الغرق والبقاء ولكل مشرب ومقام قد علم كل أناس مشربهم وهذه الأشياء لا تدرك وتفهم إلا بالأذواق كما قيل فإنها تجني من الأذواق لا من بطون الصحف والأوراق وعلامة من جناها من الأذواق فنائه عن حظوظ نفسه في كل الأشياء وقد صار من العشاق وأمارة من عرفها بالصحف والأوراق عدم ترك الحظوظ ولو حظي واحد فهذا إلي مشاهدة الحقيقة لا يساق ومن هنا كان سيدي وبوأروحي الشيخ أحمد الطيب تاركاً لجميع حظوظ النفس حتى لا يعرف من تلاميذه شي من الإمارات ولذلك قال في لطائف المنن ولا ترضوا لأنفسكم بما يرضي به المدعون من أجزاء الحقائق على ألسنتهم وخلوا أن قرارها من قلوبهم، فعليك أيها الأخ بالحقائق وترك الدعاوى وأسلك طريق العارفين بالفناء عنك كما قال إن كنت عارفاً به أشهدك عدمه لوجوده فإن من أعرف توحيد الذات صار من الأشياء المعدومات كما قيل شعراً..

شــيئـان مـا اتحـدا ولكن ههنـا ســـرا يضـــيق لطفنـا عمـا

وحكى عن بعض الصالحين رأي أخ له في المنام بعد موته فقال له ما فعل الله بك فقال أدخلني في الجنان أكل وأشرب وأنكح فقال ليس سألتك عن هذا كله ولكن هل رأيته فقال هيهات لا يراه من لا يعرفه ثم قال وإن كنت جاهلاً، بذاته قال ـ ابن عطاء الله ـفي مفتاح الفلاح والطبيعة الإنسانية تنظر على قدر معرفتها والأعمال تحشر على صورها فعليك أيها الأخ بمقام المعرفة بالفناء عنك وإياك والجهل بذاته ثم قال وإن كنت جاهلاً بذاته أشهدك وجودك لعدمه أي إذا شهدت وجودك فقد عدمت معرفته تعالي وكنت من الجاهلين لا من العارفين الكرامة العليا أن تغيب عن نفسك وعن الأكوان بشهود الله وبما برزت لك الكرامات وأنت لم تر الحق أمامه قلت من غير حول مني وقوة مقصود الشيخ في هذه الحكمة أنها من همة المريدين إلي ترك سائر ما بعده العوام كرامة فإن الإنسان إذا أقبل على الله وانقطع من عالم الملك ودخل عالم الملكوت يظهر له شيئاً لم يكن قط رأه فتظهر له الكرامة من حرق العوائد حتى أن بعضهم ينظر في سابع

الأرض وفي سابع السماوات ويري العالم كله كالمرء أت بين يديه ويطيعه وكافة المخلوقات حتى النبات والأشجار ويطيعه السحاب وأنواع السباع وينظر في لحج البحار ويري جميع ما فيهن ويصلي مع الملائكة في السماوات وينظر في عرش الله المحيط بكل المخلوقات ويري اللوح المحفوظ ويعرف ما فيه ويطوي الأرض في قدم واحد وهذه كلها أغيار وفتنة عن شهود الملك الجبار وعند ظهور هذه الأمور العجيبة صحح هذه الأشياء الغريبة أن قادت له الخلائق كافة حتى سلاطين الدنيا وتبرجت له الدنيا بزينتها في ذلك هلاكه وحجبه عن الله وهب أشد مصيبة ولذلك قال الاخضري: ووههنا مواقف عظيمة وفتن خطوبها جسيمة، فإن يقف بها امرء فقد سلب، وعن جميع الدرجات قد حجب فالعاملون في الورى كثير والسابقون عمل يسير فإن يكن مقصوده متحداً ولم يكن ماتفتاً لها بداه قال بالغ إلي مقصود ووقف بين يدي معبوده فهذه الأشياء كلها تأتي في مقام الصبر إلي الله تعالي وقل من يسلم منها فكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه إنذاراً فوقف معها وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه كشف فوقف به وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه أن ينظر في اللوح المحفوظ فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه أن يصلي مع الملائكة في عالم الملكوت فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي أن يطير في السماء ويطوف البيت في لحظة ويأتي فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه انقياد الخلائق باتباعهم وانقيادهم وتعظيمهم له ومدحهم له والثناء عليه فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه دخول حضرت الصالحين فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه انكشاف الأسرار وفتح البصيرة بدقائق كتب الباطن مع الظاهر فاشتغل بالتأليف في ذلك فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه كثرة العبادة طول الليل والنهار مع عدم خروجه منها بفنائه عنها فوقف وهلك فكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه رقة في قلبه ببكاء وتخشع وأحوال فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه الزهد في الدنيا فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه الاجتماع بالخضر والياس عليهما السلام فوقف وهلك وكم من مريد قصد الله تعالي فأعطاه الاجتماع بالنبي ρ أول لرؤية فاستغنى بذلك فقد وقف وكل لان إذا لم يصل الحضرة الله تعالي بالوصول الكامل الذي هو شهود الذوق لم يصل ولم يكن من الحضرة النبوية فإن اغتر بشي قليل من أنوار الحضرة النبوية فإن ترقي إلي مقام الكمال رأي مقامه السابق واجتماعه به لا على وجه التمكن ومنهم من يجتمع به ρ ويراه ويسله ومنهم من يجتمع به ولا يسله بل يغيب في شهوده لما ينكشف له من جمال حضرة الذات ومن هنا

كان سيدي وأبوأروحى الشيخ الطيب يجتمع به ولا يسله لما يعتر به عند ذلك من شهود جمال ذاته ρ يسله عن حاله ويعطيه نواله ويكن مطلعاً على فعاله وتجلى الذات النبوية لتجلى الذات الإلهية بعضه أعلى من بعض المشاهدين له ρ والمقربين لديه من يفني في شهود جمال ρ فالحضرة النبوية كالذات الإلهية في القرب والفناء والحب ولذلك من اجتمع بالنبي ρ لا ينبغي له أن يغتر ويقف بشي قليل من أنواع حضرته ρ فإن وقف حجب من رأي ذلك من مطالعة شهود الذات حتى يفني في ذاته ρ ولهذا قال الشعراني: بين مقام الأحمد ρ تسعمائة وتسع وتسعين مقاماً ألف الأوحد وهي طريق الوصول إلي حضرته ρ وأنواع هلاك السالكين لطريق الله تعالي ووقوفهم مع الأغيار لا تحصي وهذه الكرامات كلها غير الكرامة العليا فأرشدك الشيخ أيها المريد إلي ترك بسائر هذه الكرامات كلها غير وحتك ورغبك في الكرامة العليا بقوله الكرامة العليا أن تغيب عن نفسك وعن الأكوان بشهود الله وهذا الشهود هو مقام المقربين والأولياء والصالحين الذين هم في ذاته تعالي فانيين ثم قال ربما برزت لك الكرامة أي غير حضرت الشهود بل هذه الكرامات فتنة وحجاب عن شهود الذات وكل حجاب عند الله فهو عذاب كما قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ فسبب العذاب وجود الحجاب وتمام النعيم النظر إلي وجهه الكريم ثم قال وأنت لم تر الحق أي ربما حصلت لك هذه الأشياء المتقدمة كلها وأنت لم تر الحق أي تفني في شهوده وقوله أمامها والذي أمامك أي بل هو أمامها والذي أمامك لم تصل إليه فإن أوصلت إليه لم تكن أمامه بل أنت حاصل وواصل في حضرته وشهوده وما أحسن ما قيل ولا تتخذ في السير غيراً أفكلما سوي الله غير واتخذ ذكره حصناً ومهما تري كل المقامات تنجلي عليك فحل عنها وعن مثلها طناه وقل ليس له في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلي ولا طرفة تنجني وهذا معني قول ـ ابن عطاء الله ـ ما أردت همة سللك أن تقف عند ما كشف لها إلا نادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا نادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر فالأكوان إذا تبرجت لك أيها المريد أسأل الله أن يبعدها عنك ولا تدهشك ويتقيد قلبك بها وتظن إنك عند الله بمكان وتكون في معني قول بعضهم وكم أخاً جهل بذاك طرداً ((والله يهدي من يشاء للهدي)).

وفي هذه الكرامات صار الخلق مغرورين وعن شهود حضرته محجوبين فالجزم كل الجزم عدم الإلتفات إلي الكرامات والعزم كل العزم التشوق إلي حضرت الذات وإنما قلت به عنه إنما أكثرت الكلام في عدم الإلتفات إلي الكرامات لما

فيها من الحجب عن شهود الذات والاشتغال أكثر الناس بالتكلم بها والوقوف معها ويظنون أنها المطلوب حتى صار أكثر المريدين لا يستأنسون بالشهود ولا يعرفون أنه المقصود وليس ذلك كلام الواحد المنان، المؤمن ينظر بنور الله في الملكوت والعارف ينظر به إليه في حقائق اللاهوت، أشار الشيخ رضي الله عنه إلي أن المؤمن ليس بعارف لاختلاف نظريهما، فإن المؤمن غير العارف ينظر بنور الله في الملكوت، كما ورد اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ونظره في الملكوت عالم والملكوت عالم الغيب وهو محل المكاشفات والأسرار والعارف ينظر به أي بالله تعالي كما يأتي في قوله: ((لا يحظى بأعلى الدرجات)) إلا من كان يسمع بسمع الواحد ويبصر ببصره وشاهد التأثير من عين الذات وكما تقدم في قوله لا يعرف حقيقة مظهر صفاته في الأكوان إلا من كان الحق له السمع والبصر واللسان فالعارف لا ينظر إلا الله ولا يسمع في الأكوان إلا الله كما سمع بعضهم طيراً يصوت فقيل له ما يقول هذا الطير فقال يقول الله واحد فهذا العارف لا يسمع إلا الله واحد، وهذا هو حقيقة السماع الذي قال في حقه فما يأتي السماع في مشارب القوم على طرق وحقيقة حقه أن تسمع من الحق ولا ينظر إلا الله يعني أن الكون كله مظهر الجمال ذاته تعالي، قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ من عرف الله شهده في كل شي وقال المصر فيما يأتي العارف بالله أن يشهد الله في كل شي يراه وهذا هو معني قوله ينظر إليه في حقائق اللاهوت وهذا هو المسمي بعلم اللاهوت، قال بعضهم العلوم أربعة علوم علم الناسوت وهو علم الفقه والحديث والتفسير والنحو والصرف وما أشبه ذلك، وعلم الملكوت وهو ما يدرك بالبصيرة، وعلم الجبروت وهو علم ينفتح للقلب بينه وبين الله، الذي قال الأخضري: في حقه وفتح الباب له قلبه فصار منه أخذ عن ربه وعلم، وعلم اللاهوت وهو علم ينفتح للروح وزاد بعضهم علم هاهوت وهو تفرد الأرواح بسر خفي المناجات وهذه العلوم ما عدا علم الناسوت تسمي العلم اللدنى، ونسمي الكلام أفسده والرضا ملك إذا دخل على الغضب أفسده، والشهود ملك إذا دخل على الحجاب وهو حجاب عدم الشهود أفسده والذكر ملك إذا دخل على الغفلة أفسدها والسهر ملك إذا دخل على النوم أفسده، المحبة ملك إذا دخلت على البغض وهو عدم المحبة أفسدته وهكذا.

ولذلك قال الملوك باعتبار التعدد ولم يقل الملك والآنية في مقام الفرق لإبليس لعنه الله تعالي وهو أول من قال أنا قال الله تعالي في حقه قال أنا خير منه والمهلكات للإنسان في مقام فرقه أنا ونحن ولي أنا فإنها للشيطان، ونحن لقوم بلقيس قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد، ولي لفرعون قال أليس لي ملك

مصر وهذه كلها مضرات ومهلكات، فعليك أيها الأخ بالفناء عنك وأخرج عن حولك وقوتك إلي حوله وقوته ولا تتواني ولا تكسل عن هذه الأسرار دخلت في قلبك عنت به أي شهود عظمته تعالي عن الآنية أي نفسك أي لا تشاهد لك فعلاً لفنائك في فعله تعالي ولا وصفاً لوقوفك مع وصف ذاته تعالي ولا تشهد نفسك بل ميتاً لكمال حياته تعالي ومعدوماً لوجوده تعالي ولهذا جعل الشيخ رضي الله عنه الأحدية سلطان لأنها ملك وأن المككوك إذا دخلوا قرية أفسدوها بالقهرية فإذا دخلت الأحدية قلبك أزالت عنك رغبات النفس وأبطلت الشهوات وأفسدت هوي النفس بالكلية وظهرت فيك آثار محبته تعالي فالنور ملك إذا دخل ظلمة القلب أفسدها والزهد ملك إذا دخل على الرغبة في الأغيار أفسدها والطاعة ملك إذا دخلت على المعصية أفسدتها والمعرفة ملك إذا دخلت على الجهل أفسدته والجوع ملك إذا دخل على الشبع أفسده والصمت ملك إذا دخل على الكلام.

ومتى بعدت قدرت ذاتك عنا حتى نستدل عليها بوصفها ولا تعرف هذه الأذواق إلا أن تكون من الذين لا يغفلون عن وحدته ذاته وتدخل بذلك مقام المقربين وتصير من العشاق أن جعلك من المقربين لا يغفلك عن وحدته ذاته وإن جعلك من الأبرار عنه بك ولا باساً.

أشار الشيخ رضي الله عنه إلي أن الناس على قسمين ولا يخرج الولي عن هذه القسمين لأن الولاية من حيث هي إما مقربين أو أبرار وفصل لكل أحد مقامه الذي يليق بحاله فقال رضي الله عنه: إن جعلك من المقربين أي الواصلين لحضرة قربه لا يغفلك أي لا يغفل قلبك عن وحدته بل تشاهد بقلبك دائماً وحدته تعالي كما أشار إلي ذلك فيما تقدم بقوله واتصالك بوحدة ذاته وصفاته وأسمائه بوحدة الأفعال ولا بخل ولا يغفل قلبك عن شهود أحد هذه الأوصاف المتقدمة وبهذا يكون للوح إلي ضبط الحواس ومراعات الأنفاس ويصير مود بالحقوق الأوقات التي أشار إليها ـ ابن عطاء الله ـ بقوله حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها إذ ما من نفس تبديه إلا وله فيك قد ر يمضيه والمقربين بعضهم أقرب من بعض والمقربين هم الخواص والذين فوقهم خواص الخواص والمقربين انتهي. أسيرهم إلي الله تعالي وهو هل النهايات وأفعالهم بالله وأقوالهم من الله ورجوعهم إلي حضرة الله قال ـ ابن عطاء الله ـ في حقهم فصارت الحضرة عش لقلوبهم إليها يأوون وفيها يسكنون والمقربين أكلهم وشرابهم ونومهم ونكاحهم وسائر حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة لخروجهم عن حولهم وقوتهم وفنائهم في حضرة قربه لا يشهدون لأنفسهم ولا لغيرهم فعلاً ولا وصفاً ولا أسماؤهم ميتون لفنائهم في حياته ومعدومون لفنائهم في وجوده

والمقربين قلوب بلا أجساد، أي أنهم مراقبين لقلوبهم في حضرت مولاهم لأنهم لهم سوي قلوبهم ولا شغل لهم ولذلك بغير الله تعالي ولا بيت لهم سوي قلوبهم ولذلك يعرفون مكائد الشيطان وخفاياه في القلب لصغا باطنهم لله تعالي والمقربين قد غلبت روحانيتهم جسمانيتهم وهم أرواح لا أشباح وسواهم أشباح لا أرواح والمقربين لا هوي لهم سوي ما يقربهم إلي الله وسير المقربين لا نهاية له وأما الأبرار أهل البداية فلسيرهم نهاية ولا شي أضر للمقربين من انقياد الخلائق وإشتغالهم بنصح الناس نص على ذلك الإمام حجة الإسلام الغزالي في إحياء علوم الدين قلت من غير حول منى وقوة وقد أبعد الشيطان بالناس وكثراً من المقربين عن مقام القرب بالإشتغال بالناس وكثرة الخلائق ولذلك حكي عن بعضهم أنه كان يري ثلاثة من المريدين ولا يزيد على ذلك حتى إذا تكمل واحد منهم دخل مكانه آخر وهكذا، فقيل له في ذلك فقال أكثر من ثلاثة حب رئاسة، ولذلك قيل آخر ما ينبغي في قلوب الصالحين حب الرئاسة ولو كانت في الدين، قال الأخضري: في هذا المعني أي بعد القرب ومقام الوصول فإن جناها ربها بالشهرة لم يكمل الطيب لتلك الثمرة وحيث بالخمول قد أخفاها تبلغت بالطيب منتهاها ولهذا كان أولياء الله يحبون الخمول ومن المضر المفسد لقلوب المقربين الغرور يعني غرور الإنسان بقربه حتى ينسيه الشيطان فضائل الأعمال ويصير يستغني عنها بما يسمعه من فضائل المقربين والغرور يكون بحيث يظن أنه وصل لحالة ومقام لا يقدر الشيطان أن يضله ويخدمه وهذه كلها مكائد لا يفطن لها إلا الخواص من الناس منها نسأل الله ولا تحفظ الثبات في الأمور والاستقامة على ترك الغرور ثم قال الشيخ رضي الله عنه: وإن جعلك من الأبرار عنه بك لا به أي وإن جعلك الله من الأبرار وهو الذين في مقام السير لم يصلوا إلي حد القربة لله وهم أصناف العباد والزهاد الذين لم يشاهدوا ذاته تعالي ولم يفنوا في صفاته بك أي كنت بنفسك أي شاهدت أفعالك وأحوالك ولم تخرج عن حولك وقوتك لا به أي لا بالله ولذلك قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وهم العارفين الذين في شهوده فانيين، العارف بالله أن يشهد في كل شي يراه والعارف بنفسه لنفسه من استدل عليه بما سواه هذه الحكمة كالتتمه والتفسير لما سبق من مقام المقربين والأبرار لأن العارف بالله هو المقرب وهو الذي يشهد الله في كل شي من الأشياء أي يشهد قدرته وإرادته وعلمه واختياره وصنعه فهذا الشهود لا يفارق العارف دائماً وبهذا يصير على الأكوان فانياً لأنه لا يراها بل يري فيها صفاته تعالي قال في لطائف المنن ـ لابن عطاء الله ـ فما نصبتا الكائنات لتراها ولكن لتري فيها مولاها فمراد الحق منك أن ترها بعين من لا يراها تراها من

حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها وهذا نظر العارف بالله والعارف بنفسه وهو الذي لم يصل إلي الشهود من استدل عليه بما سواه يعني من استدل على الله بالأكوان وبالدليل وهو المنقطع والمحجوب عن شهود علام الغيوب وشتان ما بينهما لأن نظر العارف شهود الله في الأكوان ونظر الجاهل معرفة الله بالنصوص والدلائل وكل ميسر لما خلق له وإذا اختلف نظرهما اختلف فكرهما فان فكرة العارف مقام الإحسان وفكرة غيره في الدليل والنصوص على عظمة الواحد الرحمن، الفكرة فكرتان فكرة تشهد مقام الإحسان وفكرة تستدل بها على خالق الأكوان الفكرة التي تشهد مقام الإحسان هي الذي شاهد صاحبها وانكشف عن قلبه الحجاب وشاهد الأمور من الملك الوهاب فهو يتفكر في قدرة مولاه وإرادته ولا ينظر إلي الأكوان والفكرة التي تستدل بها على خالق الأكوان هي فكرة المخلوقات فهو يتفكر في خلق الله ويستدل بذلك على قدرة مولاه، قال تعالي: ((أن في خلق السماوات والأرض لآية)) فاختلفا فنظر الأول القدرة والإرادة والفناء عن الخلق وهو الذي ورد الخبر فيها بقوله ρ: فكرة ساعة خير من عبادة سنة، ونظر الثاني المخلوقات أولاً ثم يستدل على قدرة الذات فأولي لأهل الباطن والثانية الظاهر، ثم الحب حبان حب أهل الظاهر وحب أهل الباطن وأشار إلي ذلك فقال: الحب حبان حب منشأه التصديق والإيمان وحب منشأه بشهود النعم بالعيان يعني أن الحب ينشأ من أحد أمرين حب المؤمنين ويكون بالتصديق والإيمان أي من صدق الله في وحدانيته وآمن برسوله فهو محب وهو حال العموم وكلما زاد نور الإيمان في القلب زادت المحبة فإذا تكلمت لا يصير له مقصد سوي محبوبه ولا يشهد أحد غيره لفنائه في حب ذاته تعالي وهذا حب المشاهدين وهو شهود المنعم بالعيان وهذه الحالة إلا للخواص وحقيقة المحبة ألا يكون لك مقصد إلا بالله والمحبة نار تشعل في قلب المحب تصله بالمحبوب بحيث يصير قلبه لا يلتفت لشي سوي محبوبه والمحبة أعلي من الشوق سأل بعضهم هل المحبة أعلي أم الشوق فقال المحبة لأن الشوق فرح المحبة فلا مشتاق إلا محب فالحب أصل والشوق فرع الحال معني يرد على القلوب والتجلي ما يكشف الله لك به أنوار الغيوب عرف الحال بأنها معني ليشمل البكاء والضحك وغيره.

قال أبو مدين منهم من يأخذ الحال بالبكاء والشهيق والنهيق واضطراب الجوارح ومنهم من يأخذ الحال بالضحك ومنهم من يأخذه الحال بالنوم والرعدة ومنهم من يأخذ الحال وهو قائم لا يتحرك ومنهم من يأخذ الحال وهو راقد والأحوال كثيرة لا تحصي ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: الحال معني وذلك المعني يرد على

القلوب فالوارد على القلب تارة يكون بالبكاء وهو مشهدهم لذنوبهم وسيئاتهم وتارة يرد وارد الضحك وهو مشهدهم لكرم الله عليهم ولذلك يكثر منهم عند هذا الوارد الفرح والتبسم وانشراح القلب والسرور قال ـ ابن عطاء الله ـ تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال ثم قال الشيخ رضي الله عنه: والتجلي ما يكشف الله لك به أنوار الغيوب يعني أن مشاهدة أمور الغيب تسمي حال تجلي لأنها ليست من المرئيات القاردية ولهذا فمن شهد شيئاً من الغيوب فهو في حال وتجلي أي انكشاف لقلبه عما كان محجوب عنه واختلاف الناس بحسب اختلاف التجلي واختلاف التجلي بحسب اختلاف الأسماء فمعني الله غير معني الرحمن ومعني الرحمن غير معني الرحيم ومعني الرحيم غير معني الملك ومعني الملك غير معني القدوس ومعني القدوس غير معني السلام وهكذا سائر الأسماء ولأجل ذلك اختلفت الأحوال، واختلفت مشارب أهل الله تعالي فإن لكل اسم تجلي غير تجلي الاسم الآخر ولهذا تري الصوفية وأرباب القلوب لا ينكر بعضهم على بعض ولا يكذب بعضهم بعضا ولا يبغض بعضهم بعضاً ولا يتحاسدون ولا يتجادلون لأنهم يعلمون أن لكل مشرب ومقام قد علم كل أناس مشربهم ومن هنا تعرف يا أخي اختلاف الشرائع لأن كل شريعة غير الآخر قال الله تعالي: ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)) وأولياء الله على قدم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كل واحد من الرسل بشريعته كذلك من نظر بعين البصيرة كل ولي بمشربه ومقامه وقد فضل الله بعضهم على بعض لا ينكر على أحد من الناس ويسلم علم ذلك إلي الله تعالي ولا يعترض على خلق الله فإن حكمة الله لا يعرفها سوي الخواص بل له حكم لا يعرفها إلا هو كما قال تعالي: ((وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو)) ويكون عند ذلك ممتسكاً بمعرفة قوله تعالي لا تفرق بين أحد من رسله ويسلم من معني قوله تعالي: ((ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض))، هذا المشرب لمن نظر بعين البصيرة لا ينكر على ولي حاله، فإن اختلاف الأولياء باختلاف التجلي قال بعض العارفين من تجلي الله عليه بصفة الجمال يغتني سره ومن تجلي الله عليه بصفة الكمال تارة ينشاه ولا يكتمه هذه أحوالهم في تجلياتهم فلا ينبغي لأحد من أهل الطريقة ولا غيره الاعتراض على أحد إلا على سبيل الأمر بالكتم من غير انكار ولا اعتراض وهذه المشارب لا يعرفها من قصر نظره ولا من انطمست بصيرته ولو كثر حاله في علم النصوص لأنه خلاف العلم المعهود عند أهل الشرائع وإن انكروا شيئاً ورأوه على خلاف قانون الشرع فإنما هو لقصورهم في عين البصيرة فلو أوصلوا لحاله ومقامه لما أنكروه ولما رأوه قط مخالفاً للشرع وإنما خفي عليهم مدركه

فكلما أن أقول كل عالم من علماء الشريعة لا يخرج عن الشارع كما ذكره الشعراني في الميزان، كذلك أفعال أهل الحقيقة لا تخرج عن النصوص يفهم ذلك من علت همته لا من تبع نفسه وشهوته فعليك أيها الأخ بالتسليم في جميع الأحوال فإن سلمت تكن من كمل الرجال يا عجباً منك يا ذا القدرة ة والاعتزاز تارة تقول الحقيقة وتارة تقول المجاز لك في ذلك حكمة مفيدة علمها عازماً أصابك من حسنة فمن الله حقيقة وما أصابك من سيئة فمن نفسك مجاز، تأمل أيها الأخ في هذه وأفهم ما فيها وغص في بحري معانيها تصل إلي قدرة باريها فإن الشيخ رضي الله عنه غاص في بحر الحقيقة وتكمل في بحر الشريعة وأخرج منها حكم دقيقة وكل أمر لا شريعة له حقيقة بل هي زندقة عميقة قلت به عنه أخذ الشيخ بتعجب من قدرة الله وعزه وفي أمره وحكمته بقوله يا عجباً منك يا ذا القدرة والاعتزاز تارة تقول الحقيقة وتارة تقول المجاز، أي تارة تأمر بالحقيقة وتارة تنظر بالمجاز، أي أمر بهما معاً فإن قلت بالحقيقة فيما لو قتل شخص آخر لا قصاص فيه وبهذا النظر لا يجب غسله ولا دفنه ولا كفنه ولا صلاة عليه أن الله لا يجب عليه شي من ذلك وإن قلت بالشريعة، أي بهذا النظر وحب فيه القصاص والدية ووجب على الخلق غسله وكفنه والصلاة عليه ودفنه وإن أمكر هذا أمرك لك فيه حكمة مفيدة، وأيضاً لو ضيع شخص مال أخر فنظر الحقيقة لا شي فيه إذا المضيع له هو الله تعالي، ونظر الشريعة يجب غرمه على من ضيعه ويجب عليه الحساب إن كان عمداً وله في ذلك، أي في كونه بين الأمر على الشريعة والحقيقة حكمة مفيدة وأيضاً لو أن شخصاً فعل معصية فنظر الحقيقة الفاعل هو الله تعالي كما قدمه في الحكمة السابقة بقوله الحقيقة مشهدها أن الله واحد في فعله ونظر الشريعة المجاز الفاعل للمعصية العبد ويترتب على هذا النظر مواخذته بالحساب والعقاب والعذاب وبتركه الثواب ويترتب على الناظر للعبد العاصي أمران نظر الحقيقة حبه لأنه فعل الله لا يقع شي إلا بإرادته، ونظر الشريعة بغضه من حيث أنه خالف أمر الله وانتهك حرمة شرعه، ويحب على كل إنسان في كل نفس وزمان شهود هذين الأمرين، أي الحقيقة والمجاز فإن أحدهما لا يصلح إلا بالآخر كالروح مع الجسد، فإنه لا يتركب أحدهما بغير الآخر، كذلك أهل الحقيقة يشهدون الشريعة كما شهدها رسول الله ρ ونظر بعين الشريعة وقاتل الكفار مع علمه بأن كفرهم من الله تعالي ويجب على أهل الشريعة أن يجاهد وأنفسهم حتى يخرقون الحجاب ويشاهدون الحقيقة لكن العبد العاصي لمولاه فالرب له أن يشهد الحسنة من الله وهذا شهود أهل الحقيقة والسيئة من نفسه، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: ليكون الفرق على

لسانك موجود والجمع بقلبك مشهوداً ولهذا تعجب الشيخ من حكمة الله حيث يقول الحقيقة ويقول المجاز وله في ذلك حكمة مفيدة علمها عاز سبحان من جعل خلقه حجاً بالحضرة مملكة قدسه، فمن فني عن أفعالهم وصل لحضرة وحدة فعله، ومن فني عن أسماءهم وصل لحضرة وحدة أسمائه، ومن فني عن صفاته وصل لحضرة صفاته، ومن فني عن ذاتهم وصل لحضرة وحدة ذاته.
شرع الشيخ رضي الله عنه يبين لك كيفية الوصول ويرشدك إلي ذلك، ويفصله تفصيلاً تشرب منه الفحول، فقال: سبحان من جعل خلقه حجاً بالحضرة مملكة قدسه يعني أن الخلق حجاب عن حضرت الله ولذلك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به، وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: في الفتية متى تري الخلق لا تري نفسك ومتى لا تري نفسك لا تري ربك، أي الخلق حجاب عن نفسك ونفسك حجاب عن ربك ثم بين ذلك فقال فمن فني عن أفعالهم أي أفعال نفسه وأفعال الخلائق وصل لحضرة وحدة فعله ولذلك قيل من شهد الخلق لا فعل لهم فقد خاز ومن فني عن أسمائهم وصل لحضرة وحدة أسمائه وأن الأسماء كلها لله تعالي كما قال تعالي: ((ولله الأسماء الحسني)) واسم كل شي مركب من أسماء الله فقول الإنسان مثلاً مكة فالميم من اسمه تعالي مجيد، والكاف من اسمه تعالي كريم والتاء من اسمه تعالي تواب وهكذا اسم كل شي ومن فني عن صفاتهم وصل لحضرة وحدة صفاته وقد قيل من شهد الخلق لا وصف لهم فقد فاز ثم قال بعضهم من شهد الخلق لا وجود لهم فقد وصل فهذا الشهود أعني شهود الفناء هو أعلى مراتب الوصول وكل إنسان شهوده لعظمة الذات بقدر فنائه ولا تعرف يا أخي هذا الفناء إلا أن تحظي بأعلى الدرجات، لا يحظى بأعلى الدرجات إلا من كان يسمع بسمع الواحد ويبصر ببصره شاهد التأثير من عين الذات لأن الأفعال ظاهرها لذوات الحيوان وباطنها لذات الواحد الديان التأثير إنما هو مجاز لا صفات لأن حقيقة الفعل من الذات الموصوفة يعني أن أعلى الدرجات القرب لذي يسمع صاحبه بسمع الله فلا يسمع شيئاً غير الله ولا يسمع غير لا إله إلا الله وصاحب هذا المقام لا يري شيئاً إلا ويري الله قلبه هذا معني قوله ويبصر قبله ببصره، أي لا يبصر غيره ويظهر هذه الأمور ظهور الإخفاء فيه ويكون ظهوره بعد إشراق نور الله على قلب عبده وتجليه فإن القلب هو عرش الله الأكبر كما قال الأخضري: القلب سر الله في الإنسان وعرش المحيط بالأكوان، وهذا السمع والبصر يكونان لأرباب القلوب لان الإنسان بعد الفناء وتجلي الله عليه يكون قلباً بلا جسم وروحاً بلا جسد ويعرف هذا من ذاقه ووصل إليه ومن لم يصل

إليه فعليه بالتصديق لأهله تحصل له ببركهم الولاية الصغرى، كما قال الجنيد: التصديق بطرقتنا هذه ولاية صغري وإذا وصل إلي هذا المحل شاهد التأثير من عين الذات لأن الأفعال ظاهرها، أي من نظر إلي ظاهرها فإنما هي لذوات الحيوان وباطنها أي من نظر إليها بعين البصيرة والحقيقة لذات الواحد الديان ثم قال التأثير إنما هو مجازي للصفات يعني من نسبه الأفعال إلي لقدرة وغيرها مجاز وأن حقيقة الفعل من الذات الموصوفة بالصفات والأفعال قائمان بالذات المنزهة عن التشبيهات.

السماع في مشارب القوم على طرق وحقيقة حقه أن تسمع من الحق أشار في هذه الحكمة إلي سر السماع وأنه من مشارب القوم، أي الصوفية وإنما لقبوا بهذا الاسم لقيامهم بحقوق الله وحقوق المخلوقات فقال السماع: في مشارب القوم على طرق أي فرق وطرق السماع كثيرة منها القصائد، أي في مدح الصالحين وذكر أحوالهم تشويقاً لقلوب الناس إلي الرغبة في أعمالهم والدنو منهم ومحبتهم الموجبة للخير ومنها زجر الشجعان والأبطال في مدح الغزو وفي سبيل الله كقول قائلهم

فمن بنواصـنبة أصـحاب الجمل والموت عندنا أحلي من العسـل

وهو يهيج الرغبة في القتال في سبيل الله وينشط القلوب على قتال الكفار ومنها مدح الحجاج الحج وتشويق القلوب إلي بيت الله الحرام كقول البرعى:

بلاد بها جبريل يسـجب ريشـه وينزه من جو السـماء ويعرج

ومنها أصوات النياحة ومدح الحزن إلا أنه إن هيج كثرة البكاء على الميت فيحرم وإن هيج حزن على الذنوب فمطلوب، كقول بعضهم تروعني الجنائز كل يوم ويحزنني بكاء النائحات ومنها أصوات العشاق في حب الله فهو المراد هنا ومنه طبول القوم في الأذكار إلي غير ذلك من الطرق فهذا الذي ذكر في طرقه وأما حكمه من المنع وعدمه فبحسب حاله هيج خير فمحمود وإلا فلا ثم قال وحقيقة حقه أن تسمع كما قدمه سابق وفي قوله لا يحظى بأعلى الدرجات إلا من كان يسمع بسمع الله ويبصر ببصره إذا أراد الله أن يطلعك على ولي من أوليائه طوي عنك وجود بشريته وأشهدك خصوصيته يعني إن من أراد الله أن يطلعه أي يوصله إلي ولي من أوليائه طوي أي حجب عنه البشرية كشف له سر

الخصوصية فإذا رأها وصل إلي تلك الولي وبوصوله له يوصله إلي الله تعالي ولهذا كلما أيقن المريد بتفرد شيخه بالمشيخة زاد منه قرباً وكلما زاد منه قرباً زاد فيه حباً وكلما زاد فيه حباً زاد عنده عظمة وكلما زاد في هذه الأمور زاد في سراية حال الشيخ إليه ولأجل ذلك قالوا فناء المريد في حب الله على قدر اعتقاده وفنائه في شيخه إن كان كثيراً فكثيراً وإن كان قليلاً فقليلاً وسر الخصوصية هو المقام الذي أقامه الله باطناً إذ لا يعلم الغيب إلا هو لأن مقاما تهم على حسب درجاتهم ولكل درجات مما عملوا فسر الخصوصية يرجع إلي إصلاح قلبه بإشراق نور الله عليه مع الروح وذلك السر الذي لا رخصة في ذكره إذا القلب والروح هما اللذان خصهما الله بسره ومتعهما بقربه ونورهما بنوره وأفاض عليهما من عظيم جلاله وجماله وانسهما بوصاله وأعزهما بنواله واطلعهما ملكوت غيبه وأدخلهما جبروته وأفاض عليهما من حقائق دقائق لاهوته ذلك فضل الله يمن به على من اصطفاه فسبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية فلا دليل على الوصول إليهم إلا بمحض فضله كما أنه لا دليل إلي الوصول إلي حضرته إلا بذلك ولهذا تري الخلائق الآن يقولون بانقطاع الأولياء وانقراضهم ويقولون أين الأولياء فما غابوا ولا انقرضوا ولكن أين البصيرة التي تري الأولياء ولانطماس البصيرة بالدنيا والشهوات صاروا لا يعرفونهم إلا بالكرامات التي هي محل الآفات فإنه لا يموت ولي من أولياء الله تعالي إلا يبدل الله مكانه فإن قلت كيف كانوا في الزمان السابق اظهر وأبين من هذا الزمان فأقول والله أعلم خفاؤهم الآن لفساد الزمان باشتغال الناس بالدنيا وإتباع الهوى حتى كاد من تحقق بالولاية يعد سفيهاً لا قدر له عند الناس وبعدم معرفة الخلائق الآن بشروط الولاية ودقائقها لأنهم لا يعرفون بين دعواها وحقائقها كما قال الأخضري: قد ستروا بظلمات المدعي ولم يبين صادق من مدعي وإذا عمت المر الجهالة على القلوب فأين تكون لهم المعرفة بالولاية التي قد سترت في خزائن الغيوب هيهات لا يعرفها ذو البصيرة فكيف يعرفها قلب محجوب والولاية على قسمين صغري وكبري، فالصغرى أن يولي العبد ربه بالطاعة وترك ما يسخط الله وامتثال المأمورات واجتناب المنهيات بحفظ الحواس ومخالفة ما يهواه من الشهوات الناس، والكبرى أن يمحوا الله من قلب عبده كلما سواه ويجمعه إليه بحيث الوارد الإلتفات إلي الشي فرع الشعورية ولا شعور له لغيره مطلوبه ولا رغبة له في غير محبوبه فأهل الولاية الكبرى يحصل هذا لجميعهم بخلاف غيرهم وتقدم له سابق أن جعلك من الأبرار عنه بك لا به وكم سيغني بالأولياء فقير وحير كسير ارتفع وضيع وستر شنيع وهلك ظالم وارتفعت

مظالم وإنصلحت قلوب وانكشفت كروب وفتحت أبواب غيوب وغفرت ذنوب وارتفعت رجال وأخلصت أحوال ولاحت أنوار وانكشفت أسرار وعمرت ديار نفعنا الله ببركاتهم وأفاض علينا من إمداداتهم وحالاتهم آمين يا رب العالمين لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.
من علامة مقته إذا أراد أن يخفي عليك نفسه حجبكم عن أهل حضرته وعرفك بأهل غفلته، أي من الدليل على مقته منع الله إياك لبساط حضرته حجابك عن أوليائه، أي عن الخصوصية وتشهد منهم البشرية فأنت حينئذ والعياذ بالله تعالي من الهمة الدنية وشهواتك النفسية كما قيل شعر...

حجبت بالعلائق النفسية عن هذه المراتب القدسية

حكي أن بعض الناس رأي بعض الصالحين في المنام في صورة خبيثة فلما أصبح أتي إليه وقال له رأيتك البارحة في صورة خنزير يلعب بك فقال له الشيخ: صدقت أني مرآة الوجود، فمثل هذا هو عن الصالحين مطرود ولذلك قيل الولي مرآة ينظر فيها الناس على حسن أعمالهم من خيراً أو شر فلذلك هذا الرائي نظر نفسه في ذلك الولي، نسأل الله أن يختم لنا ولكم بالإيمان ويمنعنا من كيد النفس والشيطان بحرمة رسول الله ρ وكل من له شأن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وقال رضي الله عنه وأرضاه وقدس الله سره واصطفاه: إلهي كيف تغيب عنا وأنت قريب منا إلينا ناظر، شرع الشيخ رضي الله عنه يناجي ربه بما أودع في قلبه من أنوار عظيم تجلياته وحباه وأفاض الله عليه من عظيم كرمه وعطاياه وقد أنطقه الله بلسان الأبدية واصطفاه وأخبره بعبارة الأزلية وارتضاه، قال أبو سعيد الخراز: للعارفين خزائن أودعها علوماً غريبة وأبناء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية، فقوله بلسان الأبدية وعبارة الأزلية إشارة إلي أنهم بالله ينطقون، وقد قال سبحانه وتعالى على لسان نبيه ρ، بي ينطق وهو من العلم المجهول الذي قال في حقه في شأن الخضر υ ((أتينه رحمة من عندنا وعلمنه من لدنا علماً))، فمناجاة الشيخ رضي الله عنه من الله وبالله وإلي الله فقد صار الأمر منه تعالي وإليه وهو من الأسرار المكنونة في القلوب فلما كثر عليه الفيض من عالم الغيوب ظهرت في شهادة الظواهر وملأت الكون بفائق العطر الفاخر قال ـ ابن عطاء الله ـ ما استودع في غيب السيل اير ظهر في شهادة الظواهر والمناجاة هي المحادثة في دار القرب ومن ثم ما من ولي إلا ويناجي مولاه وهي من محادثة المحب من محبوبه وفي ذلك

غاية مرغوبة ونهاية مطلوبة لأنه ما من حبيب إلا وله سر مع محبوبه لا يطلع عليه غيره، حتى قال بعض العلماء: ظهر لي الملك فقال لي أين أحب أصعد لك بعمل خاص من أسرارك المخزونة افتملى على شيئاً من ذلك فقلت لا هو أعلم بذلك وهذه إشارة إلي أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب يدل لهذا مأوي عن النوري لما رميت الصوفية في زمنه بالزندقة وأتي بهم ليقتلوا فتقدم النور من بينهم فقيل له ألقلم لما تقدمت فقال: نعم للقتل فقيل لم تقدمت فقال أثر أصحابي بحياة ساعة فاعرض السياق عنه واعرض على القاضي فقال: له أني سائلك عن مسائل فإن أجبت وإلا أمرت بقتلك فقال النوري: سل عما بدا لك فسأله عن مسائل غريبة في الفقه، فأجاب بأجوبة حسنة، حتى سأله عن مسألة، فالتفت إلي يمينه، ثم إلي يساره، ثم إلي قلبه، فأجاب بأحسن جواب، فقال له القاضي: لم التفت يميناً وشمالاً ثم إلي قلبك فأجبت، فقال: لما سألتني لم يكن عندي علم بالجواب، فالتفت إلي ملك اليمين فلم يعلم، ثم نظرت إلي قلبي فأفتاني قلبي عن ربي، وهي إشارة إلي الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلوب وأولياء الله تعالي أحبهم الله فأحبوه فأودع في قلوبهم من المعارف والأسرار ما لا يوصف ولا يجوز النطق به وقد أوحي الله تعالي إلي داوود υ أن لي عباداً يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم حتى إذا جنهم الليل واختلف الظلام وفرشت الفرش وخلي كل حبيب بحبيبه ناجون بكلامي وتملقوا إلي بانعامى فبين صارخ وباكي ومتأوه وشاكي أن لهم على ثلاث حقوق، الأول أن أقذف في قلوبهم من نوري، الثاني لو كانت السماوات السبعة والأرضين السبع في ميزانهم لاستقللتها عليهم، الثالث أقبل بوجهي الكريم عليهم فأهل الله تعالي قذف الله تعالي نوره في قلوبهم والمصر من اجلهم وأعظمهم فقال بلسان التضرع والانكسار وخطاب التذلل والافتقار مناجياً لمولاه رضي الله عنه وأرضاه إلهي كيف تخفي؟ وأنت المعين لنا في الظاهر والباطن، أتي بكيف للتعجب الإنكاري كيف يخفي ظهورك وبك ظهرت المظاهر وكيف يغيب عنا نورك وبك استقامت الأوامر فالخفاء عليك محال لكن لا يتم هذا الظهور إلا للخواص من الرجال وأعلم أن الحق سبحانه وتعالى اظهر الموجودات وأبينها وأجلاها فقد صار الأمر عند ضعيف البصيرة أنه أخفاها حتى احتاج إلي دليل وبرهان وحجب عن المشاهدة والأغيار وكيف يحتاج إلي دليل؟ من نصب الدليل والبرهان قال بعضهم لعالم رأه يتبختر في مشيه لم تفعل ذلك يا أخي فقال كيف لا أفعل وكلما وضعت قدم أو رفعته استدل على الله تعالي بألف دليل فقال له طال جهلك يا أخي متى غاب حتى تستدل عليه فإيمان أهل العارفين أهل الشهود لا يضاهي

إيمان المستدلين بالدليل بل هذا من هذا معبود، قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ قدس الله سره شتان بين من يستدل به ويستدل عليه فلو عرف الإنسان جميع الأشياء موجدها ومدبرها والمتصرف فيها هو الله تعالي ولو عرف الله Y ولم يعرف سواه لم يعرف بمطالبة شي آخر لأن ما سواه عدم وظلمة ومعرفة الظلمة لا تزيد إلا ظلمة، ثم قال وكيف تغيب عنا وأنت قريب منا إلينا ناظر هذا منه دليل على تحققه في مقام القرب ولذيذ ما اعطيه من المواصلة والشرب لأنه قال وكيف تغيب عنا لأن وجودنا بوجوده تعالي وقدرتنا بقدرته ومن كان كذلك كيف يغيب جل وعلا وزهو اللطيف بنا وإلينا قريب قيل لبعضهم من معك في الدار قال الله تعالي معي وهذا من المصر دليل منه على أنه ليس يغيب عنه نظر الله تعالي كما هو شيئان العارف ومناجاته لمولاه بهذا الظهور والقرب يقضي تعظيمه لله تعالي كما هو شيئان أوليائه لأن من ظهر له الحق سبحانه وقرب منه فقد تم له المقصود ونظر الله تعالي للعباد وهو تعلق البصر بكل الموجودات وإذا كان الحق سبحانه ناظر إلينا فما أقبح المعاصي و المخالفات عنه في وقت من الأوقات وإليه الإشارة بقوله ρ: إن لم تستحي من الله فأصنع ما شئت، فالمعاصي عدم الحياء وعدم الحياء من الغفلة عن نظر الله إلي العبد فممن كان مع الملوك جالساً على بساط حضرتهم أخذته هيبتهم فلم يستطع مخالفة أمرهم استحياء منهم وخوفاً فرحم الله المصر قد أحسن في مناجاته غاية الإحسان الإلهي أعني بك على فعل ما ترضي وإن فعلت بنا خلاف ما ترضي أرضنا بالقضاء الإعانة في كل شي لا تكون بالله كما قال تعالي: ((إياك نعبد وإياك نستعين)) أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين في عبادتنا إلا بك قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه: ما توقف مطلب أنت طالبه بربك فلهذا طلب المصر الإعانة من الله تعالي بقوله الإلهي اعني بك على فعل ما ترضي والذي يرضاه الحق سبحانه هو الاستقامة في العبودية كما قال تعالي: ((فاستقم كما أمرت)) وقال سبحانه: ((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) وقال رجل يا رسول الله أوصيني فقال ρ: قل آمنت بالله ثم استقم فالحق سبحانه وتعالى لا يرضيه إلا الاستقامة في العبودية أي تكون له عبداً في كل شي قبضاً وبسطاً وعزاً وذلاً وغناءً وفقراً وعافيةً ومرضاً وعطاءً ومنعاً وشدةً ورخاءً وفقداً ووجداً ورضاءً وبقاءً إلي غير ذلك من أحكام الربوبية حتى تشاهده في الكل وترضي بالجميع وذلك لا ينال إلا بحول الله وقوته وعظيم فضله ومنته ثم قال: وإن فعلت بنا خلاف ما نرضي أرضنا بالقضاء، أي وإن حكمت علينا بشي لا ترضاه نفوسنا أرضنا بالقضاء وفي هذه المناجات سر لطيف وقدر منيف

ينبغي للسالك المتمسك به في كل حال وهو قوله وإن فعلت خلاف ما نرضي فكم من هلاك وإليه الإشارة بقوله تعالي: ((عسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم)) ومن ذلك المرض فإن العبد بالضرورة لا يرضاه مثل الرمد فإنه يقطع عرق العمى، والزكام يقطع عرق الجزام، والسعال يقطع عرق البرص، والفطاس يقطع عرق الفالج كما هو منصوص في كلامهم، فلو خير الله الإنسان بين الرمد والعمى، لاختار الرمد وهكذا يقال في الباقي فمن لم يجد تفسير سلم الأمر لله تعالي فاليعترى هذه الأمور والأسرار ليسكن قلبه لحكم الله الواحد القهار فمن أفقره الله تعالي فالفقر خير له من محبة نفسه للغني قال الله تعالي: ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ومن أمات الله إبنه صغيراً خير له من مراد نفسه حتى يبقي كبيراً وإلي ذلك يشير ما يحكي من قتل الخضر υ قال الله تعالي: ((فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فاردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً وعلى كل حال فالأولي تسلم الصنعة لصانعها لأنه أعلم وأرحم لمضارها ومصالحها ولكن النفس لا تطيق ذلك بل تجدها دائماً تميل إلي عدم الحق وطبيعتها وهواها وشهوتها ومناها ولا يهمها أمر سيدها ومولاها فلذلك قال المصر أرضنا بالقضاء أي أرضنا بما قضيته علينا في سابق علمك الأزلي أو الرضاء هو سكون القلب وطمأنينته عند جريان الحكم ويختلف باختلاف الأشخاص.

حكي أن عابداً من بني إسرائيل عبد الله سبعين سنة فأوحي الله تعالي إلي نبي زمانه قل لفلان أعبد ما شئت فإنك من أهل النار فبلغ النبي ρ الرسالة فقال مرحباً بحكم ربي وقضاؤه أنا استحق عنده أن يحكم على بشي ما ظننت أني استحق عنده ولا أصلح لشيء مفرح وزاد في العبادة فأوحي الله تعالي إلي ذلك النبي قل لعبدي فلان رضيت مني بأصعب حكم وقضاء فوعزتي وجلالي لو بلغت ذنوبك عنان السماء غفرتها لك ولا أبالي فانظر رحمك الله لكمال عقله وشدة رضاه فقد بلغ بذلك غاية الرضي من مولاه قال رسول الله ρ من جلس على بساط السؤال لم يرضي عن اله في كل حال، وقال بعضهم بين يدي رابعة العدوية رضي الله عنها اللهم أرضي عنا فقالت له أما تستحي أن تطلب رضاً من لست عنه براضي وبلغ بعضهم من الرضي مبلغاً حتى قال لو جعلتني جسراً على جهنم تمر علىّ الخلائق وكنت أعلم رضاه في ذلك لرضيت بذلك، قال بعض الصالحين: الراضي لا تهنيه فوق منزلته بشي وهذا الرضي ينشأ من كثرة المحبة حتى قبل كل ما صدر من الحبيب فهو حبيب فلذلك تري أبناء الدنيا يحبونها مع شدة الحر والبرد والهم والغم والحزن والتعب والنصب وسائر

الشدائد، فهو في حق الله أولاً لأنه الرووف الرحيم المنعم العظيم إلهي الهمم السوابق لا تخرق لنا سوي ما قدرت لنا سابق فكيف بغيرنا في ذلك تقديرنا اللاحق هذه المناجات من الشيخ تسلم منه لله Y في أموره وقني عن تدبيره بتدبير الله تعالي وهذا هواده العارفين وغاية بقية الواصلين يعني أن سوابق الهمم لا تخرق المقدور ولا يحيط بسوره فكيف بهمتنا القاصرة قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ سر سوابق الهمم لا تخرق سوابق الأقدار وما أحسن ما قيل لو طرت بين السماء والأرض مجتهداً من سربت الماء فوق الرزق لم تزد، قال بعض الحكماء: إذا كان الرزق مقسوم ومقدر في الأزل فالتعب والهم لماذا؟ وإذا كان الموت لا شك فيه فالغفلة لماذا؟ وإذا كانت الدنيا فانية فالفرح بها لماذا؟ وإذا كانت الحسنات حق فالذنوب لماذا؟ وإذا كان القدر نازل فالحرز لماذا؟ وعلى هذا كل الأمور بيد الله وفي قبضة وقدرته تعالي وتدبيره، كيف يفيدنا في ذلك تقديرنا اللاحق ومعلوم بالمشاهدة أن السابق قدر الله تعالي تصرف عباده ومحال أن تخرج عن قدرة تعالي وهي على حسب ما قدره الله تعالي والأمور تجري بحسب المقادير ومناجات العبد لمولاه بهذه الكيفية تقتضي تسليم الأمر لله تعالي هو شأن أهل العبودية الذين خلع الله على قلوبهم أوصاف الربوبية ودخلوا في عين بحر الأحدية وشاهدوا أن الكل من ذاته العلية فخرجوا من نفوسهم بالكلية ولم يبقي لهم تقدير ولا تدبير والاختيار وانكشفت لهم بذلك الأسرار، قال سي مصطفي البكري رضي الله عنه: اللهم إنك فتحت أقفال قلوب أهل الاختصاص وخلصتهم من قيد الأقفاص فخلص سرائرنا من التعلق بملاحظة سواك وأفننا عن شهود نفوسنا حتى لا نشهد إلا علاك فمن فتح الله قلبه وجعله من أهل الاختصاص وخلصه من قيد الأقفاص فقد صار من أهل الإخلاص والمصر رحمة الله تعالي بلغ في الإخلاص الغاية ووصل في دقائقه إلي نهاية يدل لذلك مناجاته وتسليمه له وتحقيقه بهذه الدراية وهذا هو شأن كل من وصل إلي مولاه ولم يلتفت إلي أحد سواه إلهي متى بعدت إرادتك عني حتى معك نشاء ومتي بعدت قدرت ذاتك حتى نستدل عليها بوصفها الذي قد تقرر عن أهل البصيرة أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما وعلى هذا كل العالم بقدرة الله وإرادته كما تقدم للمصر عند قوله الحقيقة مشهدها أن الله واحد في فعله وهذا الشهود يسمي شهود الوحدة في الكثرة فلذلك تاج مولاه بقوله إلهي أبعدت إرادتك كذلك عني حتى معك نشاء، أي الاختيار لله فمن كان له دعوى شي من ذلك فقد نازع الله في وحدانيته وخلع عن عنقه ربقة عبوديته عما أجراه على الله بإساءة الأدب والله يشير بقوله تعالي: ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)) ثم لما بين عدم بعد

القدرة من كون جميع العبد وما فيه هو قدرة الله تعالي تحقق بذلك ودخل قلبه في حقيقة ما هنالك فقال ومتى بعدت قدرة ذاتك عني حتى نستدل عليها بوصفها يعني أن قدرت الله لا تحتاج إلي أن يستدل عليها بوصفها نفوذها في المخلوقات بل هي من صفات الذات وصفات الذات لا تحتاج عند أهل البصيرة إلي ظهورها في المخلوقات كما قال قائلهم لقد ظهرت فما تخفي على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر.

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده كل شيء؟ قال ــ سيدي ابن عطاء الله ــ في مناجاته إلهي كيف يستدل عليها بما هو في وجوده مفتقر إليك لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلي دليل يدل عليك ومتى غبت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك والمصر رحمه الله تعالي قد كان في غاية الغرب من مولاه فلأجل ذلك استبعدوا لا بعد القدرة عني وهو صحيح ثم استقرب، ثانياً الاستدلال عليها بالوصف والاستدلال عند أهل الله تعالي من علامات الجهال بل سبيلهم المشاهدة وكشف الحجاب قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: حقيقة القرب أن تغيب في القرب كمن شم رائحة المسك وكلما دني فيها زاد رائحاً حتى إذا دخل البيت الذي هو فيه ذهبت عنه فهذا كلامه رحمه الله تعالي قد أحسن في غاية الإحسان فجزاه الله تعالي خيراً، إلهي لا جاهل بك إلا من أجهلته، ولا عارف بك إلا من عرفته الأمر إليك القلوب بين يديك حققنى بأوصافي منك لديك لما انكشف عن قلبه الحجاب وشاهد الأشياء كلها من الملك الوهاب سلم الأمر لله تعالي من غير اعتراض ولا عتاب كما هو شأن كل من دخل هذا الجناب وقد تقدم هذا الكلام عنده وله سلم الأمر إليه في أحكامه تشرب من رحيق أعلامه فتاح مولاه بهذه الصفة الكاملة بقوله إلهي لا جاهل بك إلا من أجهلته أي حكمت عليه في الأزل بالجهل الآن فقد ظهر الآن حكمك السابق ولا اعتراض على الله وإليه الإشارة بقوله لا يسأل عما يفعل، وقال بعض الصوفية من لم ينظر إلي العوام بعين الرحمة والحلم فقد فسق وخرج على طريق القوم لأنهم مقهورون تحت القدرة ومنة نظر إليهم بعين الحقيقة كثرت رحمته عليهم ثم قال ولا عارف بك إلا من عرفته وهذا نظر العارفين بالله تعالي لا يشهدك الأمر إلا منه لأن العارف من عرفه الله تعالي وقد تقدم له حقيقة العارف عند قوله العارف بالله أن يشهد الله في كل شي يراه، قال بعض الصديقين: سألني بعض الأبدال أن أسأل الله تعالي له شيئاً من شراب أهل المعرفة، فسألت الله أن يعطيه ذرة من شرابهم فطر سبع

أيام لا ينفع ولا ينتفع به، فقلت يا رب لو خففت عليه، فقال الحق سبحانه فما سألتني طلب مني في ذلك الوقت مائه ألف عبد يشأ من المحبة في الوقت الذي سألتني فيه فاخرت إجابتهم إلي أن شفعت أنت لهذا العبد فلما أجبتك فيما سألت أعطيته فقسمت ذرية من المعرفة بين مائه ألف عبد فهذا ما أصابه فقال: سبحانك نقصر مما أعطيته فاذهى عنه ونقي عشر معاشره وهذا جزاه من عشرة الآف جزء من مائه الآف جزء من ذرة فاعتزل خوفه وحبه وسكن وصار كسائر العارفين وتقدم للشيخ رضي الله عنه أن كنت عارفاً به أشهدك موتك لكمال حياته فهذا حال أهل المعرفة لا ينبغي اشتراك فيها فلأجل ذلك سموها أهلها بالكنز المكنون إذا الحكمة الإلهية تقتضي سترها عن قلوب الخلائق فلو اشتركت الناس فيها لخربت الدنيا وبطلت الأسواق والمعاش وهلكت الأبدان والقلوب جميعاً، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: قطرة منه تكفي الخلق أجمعهم فيشطحون على الأكوان بالنية ولكن لله حكم في الجهل كما له حكم في المعرفة ولأن أحكام الربوبية كثيرة لا تتناهي كما أن كمالاته تعالي لا نهاية لها ولذلك قال الأمر إليك، أي مفوض إليك ومسلم لديك وهذا هو شأن الكاملين لا يفرقون بين أحكامه تعالي لشهودهم لها من عين الذات كما قال فيها تقدم وشاهد التأثير من عين الذات ثم قال القلوب بين يديك قال رسول الله ρ: القلب بين اصبعين من أصابع الرحمان فالحق تعالي يستحيل عليه أن يكون له اصبع منقسمة بالأنامل وعصب وعروق ولكن المراد رالأصبعين في الحديث القدرة والإرادة ثم طلب من مولاه فقال حققنى بأوصافي التحقق بأوصافه هو تحققه بالعجز والذل والفقر والضعف فإذا تحقق بها أمده الله تعالي بعوضها من القدرة والعزة والفقر والقوة وهو معني قوله سابقاً لا يخلع عليك صفة من صفاته إلا أن يرح باطنك جملة من منازعته، قال سيدي ـ ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه: تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه وذلك لا ينال إلا بمحض الفضل من الله تعالي كما قال: بمنك لديك إلهي أخفيت ذلك فليس تري وأظهرت صفاتك في الورى وقلت الرحمن على العرش استوي سيجعلك أني كنت قبل ذا الحق سبحانه محتجب بأنوار عزة قدوس في كبريائه خفي في تجلياته عظمته متنزه في جلاله وكماله لأن عظمة الله Y اقتفنت أن كل ما سواه لا يعرفه ولا يراه قال السيد الجنيد رضي الله عنه: لا يعرف الله إلا الله وأنشدوا في ذلك لا يعرف الله إلا الله. فانتبهوا الدين دينات إيمان وإشراك وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك ولذلك قال العارف بالله سيدي مصطفي البكرى رضي الله عنه: في مناجاته إلهي بحق حقيقتك التي لا تدركها الحقائق وبسر سرك الذي لا يغني

الإفصاح عن حقيقة الرقائق وهذه لمعة إلي أسرار تجليات أحوال العارفين قال الله تعالي: ((لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)) قال صاحب الجزائر حارت عقول الورى طراً وقد عجزت وكلها عن جلال الله في عقل وقد ورد في الخيرات الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن القلوب كما احتجب عن البصار وإنه لا له في شي ولا غاب عنه شي وإن الملا الأعلى يطلبون كما تطلبونه انتم فأهل التجلي أفاض الله على قلوبهم من مكنون أسراره وأنار الله بصائرهم بعظيم أنوره إلي خزنها تحت سرادقات كبريائه فتاهوا واستغنوا بخزائن مخزونة في أستار الألوهية وتلذذ بشريف حضرت موانسة الذات العلية فخرجوا عن الدنيا وعن نفوسهم بالكلية فلم يبق في قلوبهم بعد ذلك معروفة سوي جهلهم بالأمور اللاهوتية فسبحان من رضي في معرفة بالجهل عن معرفته وبيان ذلك أن العلم يودي إلي المعرفة والمعرفة تودي إلي الحيرة كما قال مصطفي البكري: يا من تحير في عظمته الباب العارفين والحيرة تودي إلي الجهل والعجز عن دارك الإدراك إدراكه هذا المعني قول الشيخ أخفيت ذلك فليست تري ثم قال وأظهرت صفاتك في الورى أي المخلوقات يعني أن الظهور التام الذي لا خفاء معه فإنما هو بظهوره وما استنار الكون ولا وجد إلا بعظيم نوره وبيان ذلك أن كل شي ظهر فهو بقدر له وإرادته وحسن اختراعه وجميل ابتداعه فقد صار الأمر عند ضعيف البعيرة على العكس من بيان المخلوقات وخفاء عجائب قدره الخالق وهذا ينشي من كثرة الغفلة يسدا ذلك استلاء ظلمت الشهوات على القلب وتراكم الذنوب بسبب حب الدنيا كما قال ρ: حب الدنيا رأس كل خطيئة فيتباعد من النفس كثرة الهوى أي أتباعد شي ومثل دعان مظلم فيطغي عين البصيرة فتكون كالعين ملأ الدخان أجفانها فلا ترى فحينئذ تنزع في القلب من رأس الأسباب فيكون غافلاً عن السبب فيحلوا له الهوى ويحجب عن لديه المشاهدة ويخفي عليه هذا الظهور فلا يرى الآثار شيئاً وهذا والعياذ بالله تعالي من علامات الشقاوة والخذلان وأمارات الطرد والحرمان، ثم قال وقلت الرحمن على العرش استوى معلوم والكيف مجهول والسؤال عن بدعة وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: استوي كما قال أخبر لا كما يخطر لبشر وقال بعضهم استوي بالقهر والغطابة والعلية كما تقول استوي زيد على الرعية قال الشاعر:

استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

فإذا استوى على العرش الذي كل المخلوقات في طيه وحيطته فما دونه أولي معين قول المصر سبحانك إني كنت قبل ذا إشارة إلي التفويض في الاستواء المعتاد كما هو طريقة السلف أي تترهق عما لا يليق لك من معين الاستواء المتاد فكلما لا نعلم أي كنت ايضاً باني كنت بعد فرج الأمر إلي التفويض والتسليم والجهل وهو المطلوب فلله دره ما أحسنه من إمام إلا هي نفسي تتشوق لوصف ذلك وهي جاهل بوصفها هي تشرف لك سبحانك لقد تنزهت عن الشبيه والمثيل والتعبير ذاتاً وصفاتاً وفعلاً وأنت لهم خبير هذه المناجاة من الشيخ رضي الله عنه دليل على أربه على مولاه وتعظيم لحضرة ما خوله من النعيم وأعطاه لأن تحقق العبد بوصفه علامة على تحقيقه بتعليق لوصف ذاتك لأن النفس أيالروح تتشوق لمعرفة الله تعالي بعد دخولها ميدان العرفين لأن القلب كل ما دخل في شي تطلع لزيادة ما دخل فيه والمصر رحمه الله تعالي لما تحقق بغاية القرب من مولاه قمع شره النفس بعين عظمة الحضرة الإلهية وتنزيلها لما يراه ومراعاة الأدب جل من يعرفه سواه قال ابوا يزيد رضي الله عنه: أدخلني ربي في العالم السفلي وأراني عجائبه ودار بي في العالم العلوي وأراني عجائبه ثم أوقفني بين يديه وقال سألني ما تريد قلت الاهى وسيدي ومولاي ما رأيت شيئاً استحيته حتى اطلبه منك فقال له جل لو سألتني المعرفة به فصاح وقال ويحك غزت عليه حتى لا يعرفه سواه وهذا شأن العارفين بالله تعالي لما يدخلون حضرت الرب استغنوا بالأدب عن الطلب لأن الإنسان لا يعرف نفسه فكيف يعرف خالقها ولعلي الحكمة في ذلك اظهار عجز المرء لأنه لم يعرف حقيقة نفسه مع القطع بوجودها كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولي وإليه الإشارة بقوله ρ: من عرف نفسه فقد عرف ربه من تأويل من بعض العارفين من تعليق معرفة الرب على معرفة النفس ومعرفة النفس غير مكنة فكأنه قال أنت لا تدري حقيقة نفسك فكيف تدري حقيق من وجدك وإليه الإشارة بقوله تعالي: ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي))، قال حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه: أنت لا تدري إياك ولا تدري من أنت ولا كيف الوصول؟ لا ولا تدري صفات زكية فيك حارت في حقاباه ه ه ها العقول أين منك الروح في جوهرها تراها فتري فكيف يحول وكذا الأنفاس هد تحعرها لا ولا تدري متي عنك تزول أين منك الفهم والعقل إذا غلب النوم فقل لي يا جهول أنت أكل الخبر لا تعرفه كيف يجري منك أم كيف تبول وإلي هذا المعني إشارة المصر في مناجة فقال وهي جاهلته بوصفها ثم قال هي تشرف لك سبحانك عن أن يعرفك سواك لقد تنزهت عن الشر ذاتياً والمثيل صفاتاً والنظر فعلاً وأنت أي بالذات والصفات والأفعال

والمخلوقات خير لهم إلي هذا المعني يشير قوله تعالي: ((قل إنما العلم عند الله)) وقوله تعالي: ((وفوق كل ذي علم عليم)) ولأجل ذلك طلب من الله العلم منه بقوله مناجياً الاهي علمني علماً من لدنك ولا تشهدنا إلا بك عندك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الذي طلب من الله تعالي هو العلم النافع لذي قدمه في قوله العلم النافع ما حال بينك وبين الاغيار وأشهدك به لا بك جمال العزيز الجبار والعلم اللدني هو الذي يتفجر من ذاته القلب بعد تصفيته من الكدرات وانقطاعه عن شواغل الدنيا وعلائقها وهو المسمي بعلم الباطن وعلم المعرفة وهو خلاف العلم المتاد لأنه أسبه بعلم الأنبياء عليهم السلام لأن علومهم بواسطة وحى الملك وعلوم أولياء الله تعالي الذي نبعث من باطن قلوبهم الإلهام والفرق بين علم الأولياء وعلم العلماء يسقون في اجتلاب العلوم إلي القلب بالنظر والتأمل والاستدلال والأولياء يسقون في تصفية القلب وجلائه من الوسواس بدوام المراقبة والحضور وقطع علائق الدنيا فبعد صفاء القلب نتطيع فيه الأمور الملكوتية والعلوم اللدنية والأسرار الربانية والمشاهدة الإلهية وهي على أهلها غير خفية وهذا العلم قد قال حتى الكبر الكلية واستقلوا الخلائق الآن بعلوم شجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوية وذلك لغبة حب الرئاسة وإن يقال خلاف عالم ويجلسون حوله ويتلذذ بذلك ونظن أنه في غاية الطاعات بل لو دخل علم القلب ونظر إلي باطنه وأنفسه أنه في غاية المخالفات فالقلب باة إلي عالم الشهادة وهو محل العلوم النظرية والكفرية وتدبير الأمور الدنيوية والدنية دوباب إلي عالم الملكوت وهومحل القدوم والمشاهدة الربانية وحينئذ مهما أقبل على باب الوهبية حجب من الآخر هذا ما تسير من فضل الله تعالي ولا حول لنا في ذلك ولا قوة إلا بالله ونستغفر الله من جراءتنا على كلام الأولياء مع عدم معرفتنا بكلامهم ونستغفره أيضاً من ما وقع منا من نوع استدلال في غير محله ونسأله ألا يؤاخذنا بما انطوت عليه سرائرنا وأن يعفو مما في بطن ضمائرنا وأنه الغفور الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وقد تمت الحكم الطيبية السمانية القادرية.

اللهم أنفعنا بجاههم وبركاتهم ونفحاتهم وبحق كل من له شأن عند الله نرجوا الله تعالي أن يمدنا وأهدي وأقوالاً وأخوتنا ووالدينا بمددهم العظيم عند الله وأهل الله العظيم للمؤمن كافة وأن يدخلنا في شفاعة سيد المرسلين وإمام المتين اللهم امهي على يدي من تذكر خصائله بالذنب والتقصير ان غاب لا يس وإن حضر لا يشار فذاك محمد الأمين والفقير الحسن.

اللهم اغفر له ولوالديه وأرحمهما وأجعلهما بالله في أعلي عليين بين الحسن والحسين وكان الفراغ من عرقه يوم الخميس الموافق 28من شهر المحرم وكاتبه لأخيه في الله ذو الخلق الرضية والنية فذاك أخي وحبيبي الشيخ الصديق الفقير عثمان انتهي سنة 1321 من هجرة سيد المرسلين وإمام المتقين عليه أفضل الصلاة والسلام.

الفقير بابكر عبد الرحمن

آميـــــــــــــن